الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة سعيدة – د.مولاي الطاهر –

كلية الآداب واللّغات والفنون

قسم اللغة والأدب العربي

الخصائص العامة للأسلوب القرآني

–سورة الحاقة تمثيلا–

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر، دراسات لغوية، تخصص لسانيات عامة

إعداد الطالبين:

أنيم عشور

هدي ميلود

تحت إشراف:

د / كريم بن سعيد

لجنة المناقشة

–أ. د. ربحي عبد القادر.....رئيسا

–أ. د. كريم بن سعيد.....مشرفا ومقرراً

–أ. د. دين العربي.....ممتحنا

السنة الجامعية: 2023 /2024 م

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى كل من :

أرواح والديّ وأخواي، إلى إخوتي وأخواتي

إلى رفيقة دربي ونبراسه زوجتي.

إلى كل من علمني حرفا.

إلى أولئك المناضلين في سبيل رشاد ورقيّ البشرية.

أنيم عشور

الإهداء

إلى من كان سببا في وجودي أبي وأمي.

إلى من كانت سندا لي في دراستي، زوجتي الغالية.

إلى زهرتيّ وفاء ومروى، وابني العزيز محمد مصعب.

إلى روح من علمني القرآن الكريم الشيخ عثمان.

دون أن أنسى أساتذتي الكرام الذين أناروا دربي في هذه السنوات الجامعية،وإلى رفاق دربي.

دون أن أنسى أستاذنا المشرف كريم بن سعيد.

ميلود

الشكر

أتقدم بالشكر إلى كل من هم أهلٌ له.

إلى أستاذي الفاضل: د.كريم بن سعيد

إلى القائمين على الهيئات التربوية والتعليمية عبر كل الأطوار

عشور

فهرس المحتويات

الإهداء.....أ

الشكر.....ج

فهرس المحتويات.....د

مقدمة.....و

مدخل..... 2

المبحث الأول: العربية لسانُ القرآن الكريم

المطلب الأول: اللّغة العربيّة 08

المطلب الثاني: القرآن الكريم..... 13

المطلب الثالث: أقسام القرآن الكريم..... 19

المبحث الثاني: الخصائص العامة الأسلوب القرآني

المطلب الأول: الأسلوب..... 27

المطلب الثاني:أسلوب القرآن الكريم..... . 35

المطلب الثالث: الخصائص العامة للأسلوب القرآني..... 47

المبحث الثالث: دراسة إجرائية على سورة الحاقة

المطلب الأول: تقديم سورة الحاقة..... 55

المطلب الثاني: دراسة الأسلوب في سورة الحاقة..... 57

المطلب الثالث: الخصائص العامة للأسلوب القرآني في سورة الحاقة..... 73

خاتمة..... 85

قائمة المصادر والمراجع..... 88

مقدمة

مقدمة

خَصَّ الله _عز وجل_ الإنسانَ بخصيصتي العقل والنطق عن باقي الكائنات الحيّة. بهما استطاع ا لإفصاح عن حاجاته وأفكاره،في صِيَغٍ قابلةٍ ل لتداول اجتماعيا؛ تساوقا مع تطور جهازه الصوتي، الذي يتجلى في اللغة المنطوقة. والتي تختلف من قوم إلى قوم آخرين، تبعاً لاختلاف مشاربهم وبيئاتهم الأُولَى.

وقد أَعمَل الإنسان فكره في كثير من المسائل التي تصادفه في حياته، كمسائل نشأة الإنسان ونشأة اللغة وجدليّة الصِّلة بينهما. وفي غياب مقاربةِ الجواب البشريّ الشافي[1]، سعى لتأويل هذه الإشكالية المُنتَصِبَة أَمَامَهُ. مما دفع ببعضِ الخائضين للبحث في تصورات، تختلف باختلاف خلفيتها المعرفية والفلسفية والميثية[2] والاجتماعية والتاريخية؛ من ذلك نظرية التطور اللّغوي، ونظرية المحاكاة، ونظرية المواضعة والاصطلاح، ونظرية التوقيف والوحي والإلهام.

والجدير بالذكر أن نظرية التطور اللّغوي مرتبطة بالأساس بنظرية ا لارتقاء الطبيعي عند داروين (Charles Robert Darwin)[3] التي تناولت نشأة الإنسان عبر مسار تَطَوُرِه الجيني التاريخي السردي، إن هذا البناء العقلي للنظرية؛ لم يَتوصل إلى معرفة نشأة المادة الأولى التي كونت الإنسان وباقي الكائنات الأخرى. أما نظرية المحاكاة التي تَربط العلاقة بين الصوت عند

[1] أصدرت جمعية اللسانيات، بباريس سنة 1886 مادة في نظامها، يقضي بعدم مناقشة أصل اللغة و نشأتها، من كتاب حرب اللغة و السياسات اللغوية للويس كالوفي. تر: حسن حمزة، ص 38..

[2] الميثية كلمة يونانية معربة مشتقة من كلمة (Myth) معناها الأسطورة المرتبطة بالآلهة وبداية حياة البشر.

[3] عالِم تاريخ طَبيعي وأحيائي وجيولوجي بريطاني (1809 .1882). مؤسس نظرية التَطور والتي تَنص على أن كل الكائنات الحَية على مر الزمان تَنحَدِر من أسلاف مُشتركة، وقام باقتراح نَظرية تَتَضَمن أن هذه الأنماط المتفرعةَ من عَملية التَطور ناتِجةَ لعَملية وَصفها بالاصطَفاء (الانتخاب) الطَبيعِي.

الإنسان ووجوده في الطبيعة، كحفيف السنابل وفحيح الأفاعي؛ لم تجب– في الكثير من الحالات– عن العلاقة بين الشيء ومُسَمَّاه، وتبقى نظرية المواضعة مقبولة نسبياً ، لأنّ في الأصوات ما ليس محاكاةً؛ فالأشياء أوصافها موجودة مُسْبَقا، والاصطلاح يقوم بالربط بين الشيء ومسماه، وأما نظرية الوحي والإلهام والتوقيف فهي ذات خلفية دينية وتقدم بديلاً توقيفياً؛ يُجنب العقل الوقوع في شِراك الاختلالات، فاللغة وجودها فعلي واستعمالها قائم، بغض النظر عن نفعيتها الاجتماعية . قد قال بهذه الأخيرة جملة من اللغويين أمثال الهندي براهما بانيني (502 ق.م)، والفلاسفة أمثال أفلاطون (388 ق.م)، وجملة من علماء اليهود والنصارى والمسلمين القدامى والمعاصرين، الذين ساروا في الفلك نفسه.

وتُقسَّم الأديان باعتبار مصدرها، إلى سماوية[1]، و وضعية[2]. فالأديان الوضعية هي مجموعة من التعاليم وضعها البشر ، واتفقوا على إتباعها، والعمل بما فيها، حيث يتفق بعض الأقوام على تقديس الأحجار والأشخاص وتأليهها وبذلك يقولون بتعدد الآلهة، كالبوذية والبرهمية وغيرها. أما الديانات السماوية هي وحيٌ إلهيٌ، يتلقاها الرُسُل لتبليغ رسالات ربهم إلى أقوامهم خاصةً، قال الله تعالى: ﴿ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾[3]، نذكر منها: صحف إبراهيم وموسى، الإنجيل، وغيرها.

وقد حرف أتباع تلك الرسالات السابقة كتبهم وبدلوا تعاليمها ، فاعتراها التحريف؛ وفقدت الكثير من مضامينها التشريعية والاعتقادية، وبالتالي احتاجت البشرية إلى رسالة عالمية خالدة، معصومةٍ من تحريف المحرفين، وتزييف المزيفين ، فجاء القرآن الكريم ليَنْسخ كلَّ ما سبقه من

[1] تقوم الدّيانات السماويّة على وحي الله لأنبيائه ورُسله من البشر، وتَدعو إلى توحيد الله عزّ وجل، وعبادته، وتنفيذ جميع أوامره، وإفراده بجميع صُنوف العِبادات ومسائل العقيدة دون تبديلٍ أو تغيير.

[2] ينظر:عبد القادر شيبة الحمد، الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، مكتبة فهد الوطنية، الرياض، السعودية، ط6، 1433هـ

[3] سورة الجن، الآية (28)

رسالات، وليُرسّخ أنّ مصدر التلقي جاء إسلاميّا منذ بعثة إبراهيم (عليه السلام)؛ قال الله تعالى: ﴿ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾[1]. والاختلاف في التشريع والمنهج. قال الله تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۞ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۞ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[2].

نزل القرآن الكريم باللّسان العربيّ المُبين، لم يعْتره وضع الوضّاعين ، ولا انتحال المنتحلين، ولم تَضِع معانيه مع اجتهادات المترجمين ولا تأويلات المفسرين، وهذا ما أعطاه خاصية الثبوت والتواتر.

جارى القرآن الكريم طرائق العرب في الكلام وأساليبهم في التعبير، وعلى سجيتهم في الوصف والإخبار، والنداء والتكرار، الترغيب والترهيب، والإجمال والتفصيل، وغيرها من أساليب العربية المبثوثة في كتب علو مها، بغية الإبلاغ والإفهام والبيان والتبيين، بأ قوى الألفاظ وأحسن العبارات الدالةِ عن أدق المعاني واتساع الدلالات، لتحقيق القصدية والغَرَضِيّة اللغويتين، الّتِي بعث الله لأجلها الرسل والرسالات. قال الله تعالى مخاطبا نبيه محمد ﷺ: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ﴾[3]

[1] سورة الحج، الأية (78)
[2] سورة المائدة، الآيات: (46-48)
[3] سورة طه الآية (97).

نزل القرآنُ الكريم بكلام ما عَهِدَ ه العربُ فعجزوا عن الإتيان بمثله، رغم أن الكلمات هي من جنس كلامهم، وتراكيبه تماثل تراكيبهم، وحتى أغراضه لا تختلف الاختلاف الكثير عن أغراضهم، فالأساليب نفسُها، إلّا أنّه أعجزهم بقوة تأثيره ، جمال تعبيره ، دقة تصويره وبراعة تراكيبه، "وإن كان الشعر لمح تكفي إشارته"[1]، فإن القرآن فوق ذلك.

جاء موضوع دراستنا المعنون ب .: الخصائص العامة للأسلوب القرآني، سورة الحاقة نموذجا. لنتناول من خلاله أهم الجوانب التي وصل إليها المشتغلون في الحقول العلمية المختصة بالدراسات اللغوية والقرآنية، كون القرآن الكريم معجزة بيانية وظاهرة لغوية متفردة، تعلو عن الصفات المحدودة، محاولين التوصل إلى ما يميز الأسلوب القرآني من غيره من كلام العرب، ولمقاربة تحقيق هذه الأهداف، ارتأينا أن نتقدم بالإشكالية المصُوغة كالآتي:

ما لسان القرآن الكريم؟ ما أساليبه؟ ما الخصائص العامة التي اختص بها الأسلوب القرآني الكريم؟

لمحاولة الإجابة عن هذه الأسئلة؛ انتهجنا المنهج الوصفي من أجل النفاذ إلى الأساليب الواردة في القرآن وكلام العرب، فبدا لنا من هذه الإشكالية اقتراح التمفصلات الآتية: مقدمة، مدخل، ثلاثة مباحث ، وخاتمة، حيث تطرقنا في المدخل إلى موقف العرب من القرآن الكريم زمن نزوله وتأثيره في لغتهم، نشأة علومها، والعلوم القرآنية التي جعلتها موضوع لها، محاولين اكتشاف أساليبه ومكامن إعجازه وقوته النسيجيّة ، وفي المبحث الأول (العربية لسان القرآن

[1] شوقي ضيف، كتاب الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ج1، دار المعارف، مصر، ط12، د س، ص.196

الكريم)، الذي قسمناه إلى ثلاثة مطالب منها تقديم الل غة العربية والقرآن الكريم وأقسامه، أما المبحث الثاني (الخصائص العامة لأسلوب القرآن الكريم) ، وفيه ثلاثة مطالب، قدمنا تعريفا للأسلوب في المطلب الأول، وذكرنا أهم أنواعه الواردة في القرآن الكريم في المطلب الثاني، أما في المطلب الثالث حاولنا الوصول إلى الخصائص العامة لأسلوب القرآن الكريم.

ويليه المبحث الثالث ، الذي قام به الباحث هدي ميلود. وهو دراسة إجرائية طبقناها على سورة الحاقة كمثال، أردنا إبراز أهم الخصائص العامة للأسلوب القرآني ، وبدوره هذا المبحث ينقسم إلى ثلاثة مطالب: ذكرنا في الأول تقديما تعريفيا لسورة الحاقة، وفي الثاني ذكرنا أهم الأساليب الواردة حسب المحاور التي أتى ذكرها في السورة، لننتقل إلى المطلب الثالث أين ربطنا ما تقدم بالخصائص التي ميزت الأسلوب الوارد في السورة من جمالية التعبير ، وفي مستوياته الصوتية من حيث الإيقاع والجرْس التأثيري، وكذلك المستويات الصرفية والتركيبية والدلالية، لنعرج على الخصيصة دقة التصوير الفني البياني، أين حاولنا جاهدين تَقَصِّي الأساليب التي تخدم مفهوم التصوير من مشاهد ذهنية وتخيلية ومواقف نفسية، الحاملة لعقائد وتصورات إيمانية غيبية، وأحداث واقعية، كامنة في تلك العبارات الواردة في سورة والآيات، التي تحقق خصيصة قوة التأثير في القارئ والسامع، الدافعة إلى التغيير المنشود والهدف المقصود، بتعزيز الإيمان بالله في قلب المؤمن، دفعه إلى العمل والصبر للفوز بالجنة، وذم وتحقير الكفر والتكذيب بالله عز وجل، وبحقيقة البعث والحساب، وترغيب الكافر في الإيمان وترهيبه من الكفر والعصيان، في ثنائية "التصوير والتأثير"

ونظرا لإعداد مذكرة التخرج لنيل شهادة ماستر(2) في الدراسات اللغوية ، تخصص لسانيات عامة. وتقديمها للمؤسسة الوصية وهي جامعة مولاي طاهر سعيدة كلية الأدب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها. وكان موضوع الدراسة ضمن العناوين المقترحة من اللجنة

العلمية لذات الهئية، ووقع اختيارنا على الموضوع لسببين أولهما موضوعي متمثل في تعيين الأستاذ المُشرف للموضوع محل الدراسة من البنك المواضيعي المخصص للبحث ، للموسم الجامعي:(2023-2024)، لسانيات عامة.

وثانيهما ذاتي رغبةً منا في:

-الاستزادة من دائرة معارفنا وتأطيرها منهجيا.
-أهمية الدارسة في الجانبين الديني واللساني.
-تقويم المكتسبات المحصّلَة وتأهيلها إجرائيا.

كان رائدنا في هذه الدراسة، كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني كونه مرجعا أساسيا لمثل هذه الدراسات، وكذلك كتاب التصوير الفني في القرآن لسيد قطب، الذي حصر موضوع الإعجاز البياني في خصيصة التصوير الفني ، وما يتعلق به من خصائص مساعدة تخدم هذا الطرح، اعتمدنا على كل من: جامع البيان في تأويل مشكل القرآن لابن جرير الطبري و كتاب الإتقان في علوم القرآن للسيوطي والبرهان في علوم القرآن للزركشي ومناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني، واستعنا بمجموعة من الكتب المساعدة ومواقع رقمية متعمدة وموثوقة، لتعزيز الدراسة وتطعيمها بمضامين معاصرة وحديثة.

اطلعنا على عديدِ الدراسات الّتي تناولت مثل هذا الموضوع من زوايا مختلفة وآليات كثيرة، معاصرة وتراثية، ويجدر بنا ذكر الجوانب التي ساعدتنا في البحث منها: توفر المصادر والمراجع في نسخها الورقية والرقمية، والاستعانة بالتقنيات الحديثة في البحث، إلا أننا صادفنا عدة عوائق منها خصوصية الموضوع المتعامل معه، ألا وهو كلام الله المعجز، وقد حذر الله سبحانه وتعالى في الخوض في كتابه بغير علم، ذكرنا في الدراسة أقوال العلماء في قضية

التفسير والتأويل، حيث أن المسألة التي لم يرد فيها نص قطعي الثبوت قطعي الدلالة، فالقول فيها يكون بالتفويض إلى علم الله ومراده، بعد إيراد الرأي، كأن يقول القائل: والله أعلم، والله أعلم بمراده. فالاستنباطات والاستنتاجات هي وجه تقريبي وليس مطلقا. وكلها أساليب تخدم المعنى الإجمالي للسورة والمعاني التفصيلية المتضمنة في أجزاء منها، ويمكن تطبيق لآليات نحوية بلاغية تداولية، على المستويات اللسانية ملتمسين إمكانية قبولها لهذه التقنية أو تلك، مستحضرين النقص الملازم لطبيعتنا البشرية، مع اعترافنا ببضاعتنا المعرفية المزجاة، وذخيرتنا اللغوية التي لا تعدو أن تكون كمفحص قطاة، ونحن نتعامل مع أعظم رسالة في الوجود من لدن الخبير الودود.

جامعة سعيدة، بتاريخ: 2024/05/26 م الموافق لـ 1445/11/18هـ.

التوقيع:

أنيم عشور

هدي ميلود

مـــدخـــل

مدخل

اعتنى العرب بالقرآن الكريم الذي أُنزل على النبي محمّد ﷺ دراسةً وتدبراً، على غرار أمم أخرى، كالنصارى واليهود والهندوس وغيرهم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾[1]. إنّ أول ما نزل على النبي قوله تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾[2]. تأمره وترشده للقراءة. ونزلت السورة الثانية، وهي سورة القلم ، التي توضح مكانة الكتابة في حياة الإنسان. قال تعالى: ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسطُرُونَ ﴾[3]. فأمّة النبي محمّد ﷺ هي أمّة القراءة والكتابة. ورسالته هي رسالة عالمية لكل البشر باختلاف أعراقهم وألوانهم و ألسنتهم، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[4]. لذلك كانت اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم الوسيلة التي انتشر بها الإسلام وحُفظ بها القرآن.

فانكب المسلمون الجدد من غير العرب الأقحاح ، على تعلم العربية وأحكام الإسلام، وحفظ القرآن وتلاوته وتدبره وفهمه والسعي لتطبيق تعاليمه، و ساهمت الفتوحات الإسلامية، في انتشار الإسلام عند الأعاجم، واعتناقهم له ، مهما أثر على اللغة العربية،فساعد على ظهور تدوين اللغة العربية ، ونشأة الدرس اللغوي العربي، الذي خرج من مرحلة الكمون التي كانت سائدة في العصر الجاهلي ونَزرا من صدر الإسلام [5]، أين كانت العرب على السليقة تنشد أشعارها وتتناقل أحاديثها وأخبارها وتروي أيامها وآثارها، وكانت قريش من بين القبائل العربية

[1] سورة النحل (103)

[2] سورة العلق (01)

[3] سورة القلم (01)

[4] سورة الأنبياء (107)

[5] ينظر: دين العربي، قضية التصويب اللغوي بين القدامى والمعاصرين، عالم الكتب الحديثة، 2015، ص101.

تُجبى إليها لغات العرب كما تُجبى إليها الثمرات من أمصار شتّى في مواسم حجها ومواعيد أسواقها، فتصطفي أسهل الألفاظ نطقاً وأدلّها معنىً وأقربها إلى الأفهام ، بعدما خضعت لوعاء ، صيَّرت فيه لهجَتها إلى لُغَة مُعْ رَّبَة، انصهرت فيها اللهجات العربية الأخرى ، فتهيأت لاستيعاب كلام الله لفظا وغاية.

التدوين للغة العربية صار ضرورة ملحة وتطورا طبيعيا لمرحلة انطلاقها نحو العالمية، فهي لم تبقَ لغةً قوميةً لعرق بشريٍ مغمورٍ في الصحراء، بل صارت تتبوَ ء مكانة تجعلها لغة كلِّ مسلمٍ، مَهْمَا كان أصله ولونه ومكانه وزمنه، وأصبح تَعَلُّمُها صناعة ومهارة، سهلة على من هداه الله إلى اعتناق الإسلام والتفقه فيه، وكيف ننكر فضلها ، ومكانتها، وهي لغة القرآن. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[1].

لقد حفظت لنا كتب السنّة النبوية والتراجم كيف تلقّى المجتمع المكّي الرسالة المحمديّة ، وكيف أثّر القرآن الكريم في تلك البيئة الجاهلية ، بين مهتدٍ مستكين وبين مكابر معاند. قال تعالى:﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾[2]. والقرآن على مدار ثلاث وعشرين سنة من النزول ، تناول قضايا كثيرة متنوعة،بين توحيدٍ، أحْكَامٍ والتذكير، كما قال القاضي أبو بكر بن العربي[3]: "والذي أختاره من هذا التقسيم في طريق البيان، وعليه كنت أعول في طريق الإيراد قديماً، أن علومه على ثلاثة أقسام: توحيد، وتذكير، وأحكام"[4].

---

[1] سورة القمر (17)

[2] سورة الإسراء (82)

[3] محمد بن عبد الله بن محمد المعافري المشهور بالقاضي أبو بكر بن العربي، رحالة ومؤرخ، قاضي، ومفسر، وفقيه، ومحدث.

[4] أبو بكر بن العربي، قانون التأويل، ج1، تح: محمد السليماني، مؤسسة علوم القرآن بيروت، لبنان، ط: 1، 1986، ص 541.

تميزت المرحلة المكيّة بالجدال والمُحاجَجَة ، وخطاب للعقل ، واستمالة للوجدان من أجل الترغيب إلى الاستماع للخطاب القرآني ، والإيمان بمضمونه ، والعمل بمحكم تنزيله، والترهيب من عاقبة تكذيبه والتشكيك فيه ومحاربته.

يسرد لنا القرآن مواقف قريش وبعض النصارى واليهود منه، في عدة مواضعٍ،مبيناً تأثيره فيهم، بَيْن المكذبين المكابرين الذين كذبوا به رغم علمهم يقيناً، بصدق نبوة مُحمَّد وصحة الرسالة، كقصة الوليد بن المغيرة، الذي سمع شيئا من القرآن الكريم " فكأنما رقَّ له، فقالت قريش: صبأ والله، الوليد، ولتَصْبُوَنَّ قريش كلُّهم. فأوفدوا إليه أبا جهل يثير كبرياءه واعتزازه بنسبه، وماله ويطلب إليه أن يقول في القرآن قولاً يُعْلُم به قومه أنه له كاره. قال: " فماذا أقول فيه؟ فوالله ما منكم رجل أعلم مني بالشعر ولا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن. والله ما يشبه الذي يقوله شيئاً من هذا. والله إن لقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه ليحطم ما تحته، وإنه ليعلو وما يعلى". قال أبو جهل: والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه. قال: فدعني أفكّر فيه. فلما فكَّر قال: إن هذا إلا سحر يؤثر. أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله ومواليه؟ قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۞ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۞ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۞ ثُمَّ نَظَرَ ۞ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۞ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۞ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۞ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۞ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾[1]"[2]. وبين المؤمنين به، كقصة إسْلامِ عمر بن الخطاب، يروي ابن إسحاق :" أنّ عمر خرج متوشحا بسيفه يريد رسول الله ﷺ ورهطاً من أصحابه، قد اجتمعوا في بيت عند الصّفا، وهم قريب من أربعين بين رجال ونساء، وفي الطريق لقيّه نعيم بن عبد الله، فسأله عن وجهته، فأخبره بغرضه، فحذره بني عبد مناف، ودعاه أن يرجع إلى بعض أهله: خِتْنه سعيد بن زيد بن عمرو، وأخته فاطمة بنت الخطاب زوج سعيد، فقد صبآ عن دينهما. فذهب إليهما عمر، وهناك سمع خبّاباً يتلو عليهما القرآن، فاقتحم

[1] سورة المدثر (26)

[2] مجدي الهلالي، تحقيق الوصال بين القلب والقرآن، مؤسسة اقرأ، القاهرة:، مصر، ط:1، 2008، ص 26.

الباب، وبطش بختنه سعيد، وشجَّ أخته فاطمة ثم أخذ الصحيفة بعد حوار، وفيه سورة طه، فلما قرأ صدراً منها قال: " ما أحسن هذا الكلام و أكرمه ". ثم ذهب إلى النبيّ ﷺ فأعلن إسلامه. فكبَّر النبي تكبيرة عرف أهل البيت من أصحابه أن عمر بن الخطاب قد أسلم"[1]. بعض النصارى، الّذين آمنوا عندما سمعوا القرآن، كالنجاشي و أصحابه. قال تعالى واصفا حالهم: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾[2].

أجمع المؤمن والمُكَذِب، على خصوصية الأسلوب القرآني ، فهم لم يعهدوا مثل هذه الأساليب وإنْ وَرَدَت بلسانهم العربي، فنعته الكفار بقول شاعر وكاهن وساحر ومجنون ، وعدّوا ذلك كلَّه، أساطير الأولين اكتتبتها، وقالوا أخذه عن بعض الأعاجم، مع عِلمهم، أنها تهمٌ باطلة. قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾[3]. وكان الأثر كبيراً لخطبة حجة الوداع ، التي رسمت معالم المجتمع المسلم ، وأرست لبناته نحو مجتمع عالمي يتساوى فيه المسلمون في الحقوق والواجبات، السَّبق فيه للعلم والتقوى، لا للفروق الاجتماعية والخلقية والعرقية، وهذا ما مهّد لدخول النّاس في دين الله أفواجا أفواجا.

سار الخلفاء الراشدون بعد النبيّ ، على منهاجه وشريعته ، فبدؤوا بجمع القرآن في المصاحف، وكلّفوا من يضبط رسمه وشكله وتنقيطه ، وشجّعوا النّاس على حفظه ، فنشأت حلقات تدريس علوم القرآن، العَقَدِيَّة والتعاملاتية والقَصَصِية، مع نضوج علوم اللغة المختلفة، وفي مقدمتها النحو، الذي شهد استقلاليته عن علومها الأخرى، انطلاقا من تعريف ابن جني له: "هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير

[1] سورة النحل (97)

[2] سورة المائدة (83)

[3] سورة النمل (14)

والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم وإن شذّ بعضهم عنها رُدّ به إليها. وهو في الأصل مصدر شائع أي نحوت نحواً كقولك: قصدت قصداً ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم ."[1]

فالنحو حسب ما يراه ابن جني هو تمكين المستعرب من أن يكون كالعربي السَلِيقِيُّ في سلامة كلامه. وإن كان قد سبقه إليها المفسرون ، والقراء ، والفقهاء ، واللغويون ، بصورة إجمالية، بلا تفصيل، إلا أن الواقع فرض التخصص، فالإعراب _كمصطلح_ يُعنى بحركات أواخر الكلمات، التصريف يهتم ببنية الكلمة ، أما التركيب فهو يدرس الكلمة في السياق الذي ترد فيه ، وكل هذا مُؤَدَاه الأسلوب القرآني، الذي يأتي على ما فات ذكره.

[1] ابن جني، خصائص اللغة العربية، ج 1، المطبعة العصرية القاهرة، مصر، 1935، ص 35.

المبحث الأول: العربية لسان القرآن الكريم

المطلب الأول: اللّغة العربيّة

المطلب الثاني: القرآن الكريم

المطلب الثالث: أقسام القرآن الكريم

المبحث الأول: العربية لسان القرآن الكريم

المطلب الأول: اللّغة العربية

اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، استمدت مكانتها وتشريفها من كلام الله –عز وجل–، الذي أُنزل بها إلى العرب خاصة ، ومنهم إلى الناس عامة، ففي الغالب تنسب اللغة إلى القوم الذين يتكلمون بها . وقد اختلف المؤرخون في تاريخ ظهور العرب، منهم من أخذ برواية أن العرب ثلاثة أقوام، عرب بائدة ، وعاربة، ومستعربة. فالعرب البائدة ، هم الذين هلكوا ، ولم يبقى لهم أثر سوى لغتهم التي أخذها عنهم أقوام آخرون ، مثل عَاد، ثمود، جُرْهُم وغيرهم . وأما العرب العاربة هم القبائل اليمانية التي عاشت في الفترة التي سبقت استقرار إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام بمنطقة مكة المكرمة، وأما العرب المستعربة هم أبناء إسماعيل عليه السلام، وبهذا الافتراض تنقسم العرب بعد إسماعيل إلى عاربة وهم اليمانيون والمستعربة وهم الإسماعليون، ويذكر جلال الدين السيوطي أن أول من فُتق لسانُه بالعربية المتينة هو إسماعيل[1]، وقد خرّج ابن كثير [2] هذا القول تخريجا لطيفا، حيث ذكر أنه أخذ العربية عن العاربة ثم صار أفصح منهم، وإسماعيل عليه السلام رسول الله إلى قومه، قال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾[3]. ولا شك أنه أُرسل بلسان عربي، ويُرجعها بعضهم إلى سام بن نوح عليه السلام، وبهذا القول تُعد العربية من اللغات السامية.

---

[1] جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة و أنواعها، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998 ، ص31

[2] ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، مُحدّث ومفسر وفقيه(701–744هـ)، له عدة تصنيفات أشهرها :تفسير القرآن العظيم، والبداية والنهاية، وطبقات الشافعية، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، والسيرة النبوية.

[3] سورة مريم: (54)

1 العرب:

العُرب: "بالضَّم خِلاف العَجَم، مؤنث، وهم سكان الأمصار أو عام والأعراب: سكان البادية لا واحد له، ويجمع أعاريب، وعرب وعاربة وعرباء وعربة: صرحاء، ومتعربة ومستعربة: دخلاء، وعربيٌ: بَيِّنُ العروبة والعروبية، والإعراب: الإبانة والإفصاح، والإعراب: أن لا تلحن في الكلام، والعَروب: الزوجة المتحببة لزوجها أو العاصية له، والعَروبة: يوم الجمعة والعَربة: ناحية من المدينة أقامت بها قريش ، فنسبت العرب إليها ، وهي باحة العرب ، وباحة دار أبي الفصاحة إسماعيل عليه السلام" [1].

2 اللّغة:

اللّغة من المادة لَغَوَ وهي: "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، والجمع: لُغات، لَغُون. ولَغَا لَغْوًا: تكلّم، وخاب، ولغا ثريدته: روّاها بالدسم. وألغاه: خيّبه. واللَّغْوُ واللَّغَا، كالفتى: السَقَطَ، وما لا يُعتد به من كلام وغيره. ولغي به، كرَضِيَ، لهج به"[2].

واللغة في الاصطلاح كما يعرفها ابن جنى: "أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[3].

والعربية هي إحدى أكثر اللغات انتشارا في العالم، حيث تحتل المرتبة الرابعة من حيث الانتشار، وهي لغة رسمية في سبع وعشرين دولة . وتُدرّس في المؤسسات النظامية، وغير النظامية في عددٍ من الدول الآسيوية والإفريقية، تعدّ لغة رسمية في جميع الدول المنخرطة في جامعة الدول العربية، بالإضافة إلى تشاد وإريتريا. وهي من اللغات الرسمية المعتمدة في الأمم المتحدة.

---

[1] فيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1995، ص ص 1197-1198.

[2] المرجع السابق، ص 105

[3] ابن جني، المرجع السابق ، ص.33

تتميز العربية بغناها اللغوي، حيث يضم معجم لسان العرب أكثر من ثمانين ألف مادة، مقارنة بحوالي اثنا وأربعين ألف كلمة في القاموس الإنجليزي. وتتألف العربية من ثمانية وعشرين حرفاً مكتوباً . وتلتقي مع السريانية والعبرية القديمة والجعزية، وكثيرٍ من اللغات المنقرضة، في الجدر السامي ، مثل الأكادية والكنعانية والآرامية . وهي من أحدث هذه اللغات نشأة وتاريخاً، وهناك اعتقاد بأنها مطابقة للغة السامية الأم ، التي انبثقت منها اللغات السامية الأخرى، نظرًا لاحتباس العرب في جزيرتهم، فلم تتأثر بلغات أخرى بسبب الاختلاط.

يُعتمد تصنيف اللغات على أسس جغرافية وسياسية، وذلك على أسس عرقيةٍ، و تتنوع الآراء بشكل كبير حول أصل اللغة العربية بين القدامى اللغويين العرب، فبعضهم يعتقد أن اللغة العربية أقدم من العرب أنفسهم، ويُرجعون ذلك إلى الاعتقاد بأنها لغة آدم في الجنة. وقد لعب التنافس القَبَلي في عصر الخلافة العباسية دوراً كبيراً في تشكل هذه النظريات، حيث ادعى بعضهم أن يعرب بن قحطان كان أول من تكلم بهذه العربية، بينما يدعي فريق آخر أن إسماعيل هو الأول من تكلم بها، مستندين إلى القرآن الكريم والأحاديث النبوية والواقع الحي.

تظل أصول اللغة العربية موضوع جدل واسع بين العلماء، وتستمر الدراسات والأبحاث في هذا المجال لفهم أصولها بشكل أعمق وأدق ، لا يُعرَف بدقة متى ظهرت كلمة "العرب"، وكذلك جميع المفردات المشتقة من الأصل المشتمل على أحرف العين والراء والباء، مثل كلمات: عربية وأعراب وغيرها. ورد اسم العرب وأرضهم عند البابليين واليونان بحكم الجوار والحروب[1]. يتحدث اللغة العربية حاليًا قرابة اثنان وعشرون وأربعمئة مليون نسمة في الدول العربية، ويتحدث بها من المسلمين غير العرب قرابة العدد نفسه كلغة ثانية.

[1] ينظر:على جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، جامعة بغداد، العراق، ط2، 1993 ، ص07.

يُقسم اللغويون اللغة العربية إلى صنفين هما: العربية الفصحى واللهجات العامية . تحتفظ العربية بمعظم صفات السامية الأولى، مثل الأصوات والنظام الصرفي والإعراب، بالإضافة إلى احتفاظها بأصوات لم تحتفظ بها بعض اللغات السامية الأخرى، كما احتفظت بمعظم الصيغ الاشتقاقية والصيغ الأصلية للضمائر والأسماء . فهي لغة مُعْربة، اشتقاقية. كان لأسواق العرب ك سوق عكاظ ، دور مهم في تهذيب اللغة العربية قبل الإسلام .

بعد وفاة النبي محمد ﷺ، شهدت الفتوحات الإسلامية توسّعًا كبيرًا لنشر الإسلام وتعاليمه في مناطق مختلفة خارج شبه الجزيرة العربية. فلعتنق السريان، والأقباط، والروم، والبربر، والفرس وغيرهم الإسلام وأصبحوا يتكلمون العربية بجانب لغاتهم الأصلية، كون العربية لغة الدين ولغة التشريع الأساسية في الإسلام، و مما سّهل عليهم تَعَرُّب ألسنتهم، حركة تعريب العلوم، ونشأة الدواوين، مما ساهم في ازدهار اللغة العربية ازدهارًا كبيرًا، حيث استخدمها الأدباء، والشعراء، والعلماء للتعبير عن أفكارهم وكتابة علومهم. فلثّرت وتأثّرت باللغات الأخرى.

عاشت اللغة العربية انبعاثاً جديد، بعد عصر النهضة، مما أدى إلى ظهور علوم جديدة، ومفاهيم مُستحدثة، ومصطلحات وافدة، دفع بها إلى محاولة التكييف مع الواقع العالمي الجديد، فصارت تحتل المرتبة الرابعة من حيث الاستعمال في الانترنت، وعززت مكانتها في دول كثيرة، لكنها في بعض الدول تقهقرت إلى مَرتَبة لغةٌ ثانيةٍ وثالثةٍ، في إطار ما يسمى الازدواجية والصراع اللغوي.[1] على الرغم من ذلك، استمرت اللغة العربية كلغة دِينيّة رئيسة في بلدان المسلمة، تؤدي دورها الديني، والحضاري، والثقافي.

[1] ينظر: لويس كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية، تر:حسن حمزة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط 1، 2008، ص78.

المطلب الثاني: القرآن الكريم

نزل القرآن مفرّقاً بين مرحلتين من حياة العرب والبشرية، ومُؤْذنا بمكانة مشرفة للغة العربية، كيف لا؟ وهي اللغة التي ستحمل تعاليمه ومفاهيمه إلى الناس قاطبة، وإن دل على أمر، فإنما يدل على سعة هذه اللغة لاستيعاب معانيه ، بما أودعه الله فيها من سهولة مخارج الأصوات وتقاربها، وجزالة الألفاظ وبساطتها، والاستئناس بإيقاع تراكيبها، وتناسق أغراضها ومعانيها، يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾[1]، قال ابن كثير : "أَيْ: سَهَّلْنَا لَفْظَهُ، وَيَسَّرْنَا مَعْنَاهُ لِمَنْ أَرَادَهُ، لِيَتَذَكَّرَ النَّاس" [2]. ولا شك أن التسهيل يتضمن المعنى القريب من تيسير ألفاظه للحفظ والأداء، ومعانيه للفهم والعلم، لأنه أحسن الكلام لفظا، وأصدقه معنى، وأبينه تفسيرا . وكذلك تيسير اللغة التي نزل بها للتعلم والأداء، لأن كلمة (مدّكر) ذكرت بالتنكير الذي يفيد العموم، ولهذا كانت علوم العربية تقعيدا واشتغالا، أسهل العلوم، وأجلِّها بعد علوم القرآن، حتى لا تكاد تُفرق بينهما، فنالت العربية شرف حملها للقرآن الكريم، فانبرى المسلم ون والعرب و بعض المستشرقين إلى دراسة القرآن الكريم وعلوم العربية دراسة وافية في جوانب مختلفة، منها: التشريعية، الفقهية، الاعتقادية، التنظيمية، والتاريخية وغيرها.

القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة المبعوث بها الرسول ﷺ فقد بلغ العرب من فصاحة القول شأواً لا يبارى، وحدًا لا يجارى. ونزل القرآن الكريم على الرسول ﷺ بلسانهم، ومع ذلك

---

[1] سورة القمر: (17)

[2] ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 7، تح مصطفى السيد محمد وآخرون، مؤسسة قرطبة، الجيزة، مصر، ط1، 2000.، ص 478

فقد أعجزهم أسلوبه، في دقة تصويره وبيانه، اتساقه وفصاحة ألفاظه وانسجام عباراته، وبلاغة مراده، لما لمسوا فيه من بيان، وقد تحداهم الله – عز وجل – أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا، وكان هذا دليلا جليّا على عجزهم وصِدق إعجازه . وإلى عصرنا هذا والباحثون لم يتفقوا على وجوه إعجازه، ذكروا منها الإخبار بالمغيب، والصرفة، والإعجاز العلمي والإعجاز العددي، والإعجاز البلاغي، ورجَّح بعضهم وجه الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، إذ هو الوجه الذي يظهر واضحا في كل سورة، بل في كل تركيب، ويحس بوقعه يسري في كيانه، كل من ينصت ويصغي إلى آياته .

القرآن، لغةً: اسم من أسماء كتاب الله الكريم وأشهرها، لغةً مصدر من قرأ، يقرأ، قراءة، وقرآناً بمعنى الجمع والضم، قرأ الشيء أي جمعه وضم بعضه إلى بعضه، يقول الزجاج[1]: "إن لفظ "القرآن" مهموز على وزن فعلان، مشتق من القرء بمعنى الجمع". ويقول اللحياني[2]: إنه مصدر مهموز بوزن الغفران، مشتق من قرأ بمعنى تلا، سمي به المقروء تسمية للمفعول بالمصدر.
يقول تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾.[3] و يقول الفراء[4] : بأنه " مشتق من القرائن، جمع قرينة، لأن آياته يشبه بعضها بعضا فكأن بعضها قرينة على بعض، وواضح أن النون في "قرائن" أصلية". ويقول أبو الحسن الأشعري[5] إنه مشتق من "قرن الشيء بالشيء، إذا ضمه إليه، لأن السور والآيات تُقرن فيه ويُضم بعضها إلى بعض" . أما الإمام الشافعي[6] ذهب لكون لفظ القرآن لا مشتقا ولا مهموزا حيث قال: " إن لفظ القرآن مرتجل وجُعل

[1] الزجاج: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السرى بن سهل الزجاج البغدادي.
[2] اللحياني: أَبُو الحَسَن عَلِيّ بِن المُبَارَك اللِّحيَانِي الهذلي.

[3] سورة النحل: (98).
[4]الفراء: أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنْ زِيَادْ بْنْ عَبْدِ اَللَّهْ بْنْ مَنْظُورِ بْنْ مَرْوَانْ اَلْأَسْلَمِي اَلدَّيْلِمِي اَلْكُوفِيَّ.

[5] أبو الحسن الأشعري: علي بن إسماعيل الأشعري.
[6] الشافعي: أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعيّ المُطَّلِبِيّ القُرَشِيّ ، عمرو بن كلثوم: عمرو بن كلثوم بن مالك بن عَتّاب.

عَلَمًا للكتاب المنزل على محمد ﷺ ومثيله التوراة ، والإنجيل [1]. ونجد استعمال كلمة "قرا" في الشعر الجاهلي. يقول عمرو بن كلثوم:

ذِرَاعَيْ عَيْطَلَا أَدْمَاَء بِكْر هِجَانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأ جَنِيْنَا [2] . تقرأ أي :لم تضم في رحمها ولدًا قط.

القرآن اصطلاحا: هو اللفظ العربي المعجز، الموحى به إلى محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام، وهو المنقول بالتواتر، المكتوب في المصحف، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، والمختوم بسورة الناس[3].

وعرفه محمد علي الصابوني: بأنه " كلام الله المعجِز المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين بواسطة الأمين جبريل عليه الصلاة والسلام المكتوب في المصاحف المنقول إلينا بالتواتر المتعبد بتلاوته المبدوء بسورة الفاتحة والمختتم بسورة الناس".[4]

وقد اتفق الفقهاء والأصوليون وعلماء العربية على تعريف القرآن بأنه الكلام المعجز المنزل على النبي ﷺ المكتوب في المصاحف، المنقول عنه بالتواتر، المتعبد بتلاوته.[5]

وفيما لي شرح لمصطلحات التعريف:

---

[1] ينظر: محمد فاروق النبهان، المدخل إلى علوم القرآن الكريم، دار عالم القرآن، حلب، ط1، 2005، ص16.

[2] محمد علي طه، فتح الكبير المتعال أعراب المعلقات العشر الطوال، مكتبة السوادي جدة، السعودية، ط2، 1989، ص 353.

[3] مصطفى ديب البغا، الواضح في علوم القرآن، دار الكلم الطيب، دمشق، ط2، 1998، ص15.

[4] محمد على الصابوني، التبيان في علوم القرآن، مكتبة بشرى، باكستان، ط2، 2011، ص8.

[5] صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، ط24، 2000، ص21.

أولا، المعجِز: يظهر إعجازه في نظمه وبيانه و فصاحته والبيان و تشريعه. وقد اختلف العلماء في وجوه الإعجاز حيث يورد الزركشي [1] في كتاب البرهان : ما ذكره النظّام [2] عن الإعجاز بالصرفة: حيث قال: لولا الصرفة لما أعجزهم القرآن، ولما أعجزهم أن يأتوا بمثله. ومعنى الصرفة: صرف العرب عن معارضته. خالف هذا القول الكثيرون، وحجتهم أن الإعجاز كامن في القرآن نفسه؛ وهو ما ظهر واضحا وثابتا في قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾.[3] البعض الآخر قال أن وجه الإعجاز يكمن في: التأليف والنظم والترصيف، من اعتدال مفرداته وتوالي فصاحة ألفاظه وصحة سمو معانيه. وفي فصاحة وغرابة أسلوبه والسلامة من جميع العيوب. وباستمرار بلاغته. وبما يتركه في النفس من مشاعر، فكلامه ألصق بالقلب وأعلق بالنفس. وفي الإخبار عن الغيب: عن قصص الأولين قال تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلُ ﴾.[4] وعن الغيوب المستقبلية.[5]

ثانيا، الموحى به: القرآن الكريم بجميع ألفاظه ومعانيه منزل من الله تعالى على محمد ﷺ قال تعالى: " وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ ما يَشاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾.[6] يُعَرف الوحي بأنه "عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة ...".[7] وللوحي صور ثلاث: الأول يكون بإلقاء المعنى في قلب النبي ﷺ من غير واسطة. والثاني يقع بالكلام من وراء حجاب؛ بأن

[1] الزركشي: بدر الدين محمد بم بهادر بن عبد الله الزركشي المصري، فقيه شافعي، أصولي ومحدث.
[2] النظام: ابن إسحاق إبراهيم بن سيار النظام وهو زعيم الفرقة النظامية، وأحد أبرز رجال الفكر الاعتزالي، وكان شيخا للجاحظ.
[3] سورة الإسراء: (88)
[4] سورة هود: (49)
[5] ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي وشركائه، ط1، 1957، ص ص 93-107.
[6] سورة الشورى: (51)
[7] محمد رشيد القلموني، الوحي المحمدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص 26.

يكلم الله نبيه بكلام يسمعه دون الرؤية. والثالث: بواسطة ملك الوحي جبريل عليه السلام. الذي كان يأتي النبي تارة على هيئة رجل فيكلمه وتارة أخرى كصلصلة الجرس.[1]

والوحي هو النزول الدال على علو مكانة القرآن وشرف مقامه قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴾.[2] كانت مدة نزول القرآن الكريم ثلاثا وعشرين سنة، ثلاثة عشر منها في مكة وعشرا في المدينة. وكان أول ما نزل على النبي ﷺ قول الله تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ ﴾[3].[4] وقيل أن أول ما نزل قوله تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۞ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾[5].[6] وقد اختلف في آخر ما نزل منه فقد روى ابن عباس أن آخر ما نزل قوله تعالى: ﴿ تعالى:﴿ وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾.[7] وروى أنه قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا ما بَقِيَ مِنَ الرِّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾.[8] [9]

ثالثا، المنقول بالتواتر: هو ما أكده ابن الجزري [10] حيث قال: " إن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور، لا على خط المصاحف والكتب، وهو أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة"[11]

رابعا، المكتوب في المصحف: على الهيئة التي وصل إليها بعد جمعه وكتابته منذ عهد النبي ﷺ. ولجمع القرآن معنيان الأول بمعنى الحفظ والاستظهار. قال تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا

[1] ينظر: محمد رشيد القلموني، المرجع السابق، ص 27.
[2] سورة الشورى: الآية(193-194)
[3] سورة العلق: لآية(1-5)
[4] ينظر: عدنان محمد زرزور، مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، دار القلم: دمشق، ط:2، سنة 1998، ص. 71.
[5] سورة المدثر، الآيات: 1، 2
[6] ينظر: عدنان محمد زرزور،المرجع السابق، ص.87.
[7] سورة البقرة، 281.
[8] سورة البقرة، 278.
[9] ينظر: م س، ص 88.
[10] هو هو محمد بن محمد بن محمد، أبو الخير شمس الدين الشهير بابن الجزري، وشيخ القراء في زمانه.
[11] صبحي الصالح، المرجع السابق، ص 68.

جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾،[1] وكان أول من جمعه واستظهره هو سيد الخلق ﷺ ثم بعض أصحابه رضوان الله عليهم. و المعنى الثاني: الجمع بمعنى كتابته ، وقد اتخذ ثلاثة أشكال، أولها عهد النبي ﷺ، أين كتب كله مفرق الآيات والسور. فعن زيد بن ثابت أنه قال: "كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع". وثانيها عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقد جُمع كله في مصحف واحد مرتب الآيات في السنة الثانية عشرة للهجرة. ثم صار لعمر ابن الخطاب حتى توفاه الله ثم صار لابنته حفصة رضي الله عنها.[2] وثالثها عهد عثمان بن عفان رضي الله الله عنه. أين جُمع القرآن في المصحف الإمام ، وجَمع الناس عليه، وتابعهم علماء المسلمين وقُراءِهم، يقول ابن الجزري: "...فنحن نقطع بأن كثيرا من الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يقرؤون بما خالف رسم المصحف العثماني قبل الإجماع عليه من زيادة كلمة وأكثر وإبدال أخرى بأخرى ونقص بعض الكلمات كما ثبت في الصحيحين وغيرهما ونحن اليوم تمنع من يقرأ بها في الصلاة وغيرها منع تحريم لا منع كراهة ولا إشكال في ذلك ومن نظر أقوال الأولين علم حقيقة الأمر..."[3]. ثم تلاه تحسين الرسم القرآني حتى بلغ ما بلغ في نهاية القرن الثالث الهجري.

خامسا، المبدوء بسورة الفاتحة، والمختوم بسورة الناس: قال الزركشي: " اعلم أن عدد سور القرآن العظيم باتفاق أهل الحل والعقد مائة وأربع عشرة سورة كما هي في المصحف العثماني أولها الفاتحة وأخرها الناس".[4]

[1] سورة القيامة، 16.
[2] ينظر: صبحي الصالح، المرجع السابق، ص ص. 68-77.
[3] ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، مكتبة القدسي، القاهرة، مصر،1931م/1350 هـ، ص 21.
[4] فهد الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، ط12، 2003، ص.105.

المطلب الثالث: أقسام القرآن الكريم

لفهم القرآن الكريم يجدر بالباحث في الدراسات القرآنية واللسانية على السواء معرفة تسلسل نزول القرآن ، حسب الزمان والمكان والدراية بتفاصيل النزول. وقد قسّم العلماء القرآن الكريم حسب مواضِيعِه إلى محكم ومتشابه و إلى مفصّل ومجمل والى مكي ومدنيّ، و يتضمن هذا الأخير الأقسام السابقة.

1-المكي والمدني: القرآن المكي هو الذي نزل به الوحي على رسول الله ﷺ قبل الهجرة وإن كان بغير مكة. أما المدني فهو الذي نزل به الوحي على رسول الله ﷺ بعد الهجرة و إن كان بغير المدينة.

خصائص القرآن المكي:

الخصائص مفردها خصيصة من الفعل خَصَّ "خَصَّه بالشيء يخُصّه خَصّاً وخُصوصاً وخَصوصيّة وخُصوصيّة والفتح أفصح: أفرده به دون غيره".[1]

وفي المعجم الوسيط : "الخصيصة: الصفة التي تميز الشيء وتحدده،والجمع :خصائص"[2]

[1] ينظر: المعجم الإلكتروني المعاني. https://almaany.com/ المدخل: خصيصة. الاطلاع:2024/05/25 22:34.

[2] المرجع السابق

فمن التعريفات اللغوية السابقة يُستنتج أن معنى الخَصِيْصة يدور على الفضل، الانفراد، والتميز.

و من خصائص القرآن المكي ما يلي:

أ – موضوع التوحيد: عالج هذا النوع من القرآن قضية هامّة وهي محور جميع الرسالات الإلهية، إلى البشر المتمثلة في إفراد الله بالعبادة وتوحيده و التشنيع على من أشرك بالله وكذّب رسوله من قريش ومن جاورهم لقوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴾[2].

ب – التحذير من الشرك وعواقبه: أورد القرآن الكريم مصارع الأمم السابقة المكذّبة لرسلهم مبيّنا تفاصيل إعراضهم وتكذيبهم ومحاربتهم، مستعرضا العذاب الذي طالهم جرّاء ذلك التكذيب في الدنيا وذكر مصيرهم في الآخرة.

ج – الدعوة إلى الإيمان بالله واليوم الآخر: تطرّق هذا النوع إلى ذ كر تفاصيل الحياة الأخرى من نعيم مقيم للمؤمنين بالرسل. وجحيم وعذاب أليم للمعاندين المكابرين.

[1] سورة الشعراء (214)

[2] سورة الشورى (07)

د – إيراد قصص الأمم السابقة: يسرد هذا النوع قصص مجموعة من الأمم والأفراد الذين تعاملوا مع الرسالة الإلهية ، ونهايتهم . مثل سورة البقرة ، وسورة يوسف ، وسورة الكهف ، وسورة القصص.

هـ – تشجيع النبيّ ﷺ والمؤمنين على الصبر على الابتلاء: والدعوة إلى الله وذكر نماذج من الأنبياء السابقين المحتسبين لقوله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[2].

و– مخاطبة العقل والوجدان: تميّز هذا النوع من القرآن الكريم بأسلوب منهجي عقلي يرتكز على الحجج والبراهين ، والآثار التي يستند عليها العقل لترسيخ الفكرة الجديدة مُؤدّاها إفراد الله بالعبادة ونبذ الشرك . هذا من جهة، ومن جهة أخرى يخاطب الوجدان باستمالة العاطفة بذكر مواقف نفسية ووجدانية لسبر مكامنها الفطرية المحبّة للخير والنافرة للشر وأهله.

ز– الترغيب والترهيب: استعمل هذا النوع من الألفاظ والعبارات المحببة والمُرَغِّبة لعمل الصالحات من الإيمان والخير لقوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[3]. وأخرى مُنَفِّرة من الشرك والظلم وعمل السوء لقوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾[4].

[1] سورة النحل (127)

[2] سورة آل عمران (146)

[3] سورة النحل (97)

[4] سورة الكهف (59)

وقوله تعالى: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾[1].

ح- وصف القرآن: فتارة يكون واصفاً لغيره، وتارة يكون موصوفا و قد جاء هذا النوع للتعريف بالقرآن الكريم وذكر مكانته وتحدّى العرب على أن يأتوا بمثله قال تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾[3].

خصائص القرآن المدني:

أ: موضوعه التشريع بذكر أركان الإسلام المتمثلة في الصلاة والزكاة والحج والصوم.

ب: تطرق لمواضيع المعاملات المالية كالبيوع والاجتماعية كالنكاح والطلاق وغيرها.

ج: تشريع الحدود مثل حد الزنا والسرقة والربا.....وغيرها.

د: محاججة المنافقين وفضح ممارستهم داخل المجتمع المسلم.

هـ: تعزيز الروح الإيمانية بذكر مظاهر الالتحام والتكافل عن طريق ذكر الانتصارات المحققة ، والتحذير من الاختلاف والفرقة التي يكون مآلها الضعف والهزيمة.

---

[1] سورة الحج (45)

[2] سورة الحشر (21)

[3] سورة الرعد (31)

ز: مجادلة أهل الكتاب بالحجة والبرهان ودعوتهم للالتحاق بالركب الإيماني، المتمثل في الدعوة الإسلامية لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾[2].

1-ومن حيث وضوح معناه يقسم القرآن إلى محكم ومتشابه.

فللمحكم هو ما دلّ على معناه بوضوح لا خفاء فيه، بمعنى أنه لا يحتمل إلا وجها واحدا من التأويل، دلالته راجحة، وهو الظاهر والنص.

أما المتشابه هو ما كانت دلالته غير واضحة، فلا يستقل بنفسه، لحصول الاختلاف في تأويله. وهو على ثلاثة أنواع:

أ-نوع لا سبيل إلى الوقوف عليه: كوقت الساعة، وخروج الدابة، ونحو ذلك.

ب-نوع لنا سبيل إلى معرفته: كالألفاظ الغريبة والأحكام الغَلِقة.

ج-ونوع متردّد بين الأمرين، يختصّ بمعرفة حقيقته بعض الراسخين في العلم، ويخفى على من دونهم.[3]

يقول تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾[1]

---

[1] سورة العنكبوت (46)

[2] سورة آل عمران (85)

[3] ينظر: مصطفى ديب البغا، المرجع السابق، ص123.

جعل الله تعالى المحكم مقابلا للمتشابه، وأشار سبحانه إلى أن المتشابه يحتاج إلى تأويل غموضه. فللتأويل "هو إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية من غير أن يخل ذلك بعادة لسان العرب من التجوز، من تسمية الشيء بشبيهه أو بسببه أو لاحقه أو مقاربه... أو غير ذلك من الأشياء التي تُعُورِفت في أصناف الكلام المجازي ".[2] أما التفسير هو علم يُبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية.[3]

3-ويقسم القرآن من حيث نظمه إلى سور، وآيات، وفواصل.

فالسورة في اللغة على اختلاف الرأي إما مشتقة من سور المدينة لإحاطتها بآياتها واجتماعها كاجتماع البيوت بالسور. أو مشتقة من التسوّر بمعنى التصاعد والتركيب. وذلك لعلو شأنها وشأن قارئها. وتطلق أيضا على المنزلة الرفيعة. قال النابغة الذبياني المنذر بن ماء السماء:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب[4]

واصطلاحا هي طائفة من الآيات القرآنية لها بدء ونهاية.

أما الآية في اللغة لها عدة معانٍ، فهي تُطلق على المعجزة، والعلامة، والدليل، والعبرة، والأمر العجيب. فهي معجزة لعجز الجن والإنس عن الإتيان بمثلها، وهي علامة على أنها من عند الله تعالى، لا يسع القارئ والسامع إلّا أن يشهد بذلك طوعًا أو كرهًا . وهي دليل قاطع على صدق من نزلت عليه. وهي عبرة لمن اعتبر. وهي أمر عجيب غاية في العجب لما لها من حلاوة وطلاوة، وتأثير خاص يأخذ بتلابيب العقول ومجامع القلوب.

---

[1] آل عمران: (7)

[2] ابن رشد الحفيد، فصل المقال، دار المشرق، لبنان، ط2، 1968، ص 35.

[3] مصطفى ديب البغا، المرجع السابق، ص213.

[4] ينظر: تفسير ابن كثير، ج1، ص 100

وفي الاصطلاح: هي طائفة من القرآن لها مبدأ ومقطع, مندرجة في سورة. ومَعْرِفة مبدأها ومقطعها توقيفي. قال الزمخشري: الآيات علم توقيفي لا مجال للقياس فيه.[1]

أما الفاصلة القرآنية ، يُعرفها الزركشي بأنها كلمة آخر الآية، كقافية الشعر، وقرينة السجع. حيث ربط ها الفاصلة برؤوس الآي. وسميت بالفواصل لأنه ينفصل عندها الكلامان ، ولهذا لا يشترط في الفاصلة الموافقة في الإعراب لما قبلها- على تقدير عدم الوقوف- لأن الوقوف على ر ؤوس الآي سنّةٌ متّبعةٌ؛ لهذا صرح العلماء بأن مبنى الفواصل على الوقف : فشاع مقابلة المرفوع بالمجرور والعكس، وكذا المفتوح والمنصوب غير المنوّن. فالفاصلة تلتزم بصيغ وحروف وكلمات روعيت في بناء الكثير من الجمل والآيات القرآنية، بحيث أسهمت في إحكام المبنى والمعنى جميعا [2]

[1] ينظر: محمد بكر إسماعيل، دراسات في علوم القرآن، دار المنار، ط2، 1999، ص ص. 52-56.
[2] ينظر: عدنان محمد زرزور، المرجع السابق، ص 190.

المبحث الثاني: الخصائص العامة لأسلوب القرآن الكريم

المطلب الأول: الأسلوب

المطلب الثاني:أسلوب القرآن الكريم

المطلب الثالث: الخصائص العامة لأسلوب القرآن الكريم

المبحث الثاني: الخصائص العامة لأسلوب القرآن الكريم.

المطلب الأول: الأسلوب

لم ينل الأسلوب اهتمام العرب وحدهم، فقد اعتنت به أمم قبلهم، من هنود و فرس ويونان ويهود. وقد كان الدافع الاعتقادي _ دينيا كان أو فكريا_ هو المحرك الفعلي للاهتمام بأساليب تلك النصوص وكيفية فهمها والتعامل معها، كما لا يمكننا تحديد الإطار الزماني والمكاني بالضبط لنشأة تلك الدراسات، بحكم أن الحضارات كان متعايشة في فترات متقاربة، أو ما تم توثيقه يرجع لنفس الفترة الزمنية، وما فيها من تداخل سياسي وثقافي. فعند الهنود تطورت اللغة السنسكريتية وكذلك الأسلوب في أدبيات الهند القديم، مع هذا التطور كانت الأعمال الأدبية تحتفظ بالشكل والمضمون القديمين.

برز الانتماء الديني في القصة الأسطورية بورانا (Purana) في نصف القرن الأول قبل الميلاد. والتي مهدت لأدب كامل ، عرف باسم الأدب البوراني . واستعملت فيه عبارات ساحرة آسرة، ألهبت حماس جماهير الهند حتى القرن الثاني الميلادي [1]. أما العبرانيون من اليهود ، فقد نظموا الكتب المقدسة لديهم، وتفاسيرها وشروحاتها ، وفق منهجية أسلوبية مضبوطة . حيث دوّن مؤرخوهم هذا الاهتمام فنجد مثل هذه التوثيق: " وفي تفسير سعديا الفيومي لأساليب رابي إسماعيل الثلاثة عشر ، نجده قد اعتبره بناءً رئيسيا من فقرة واحدة وبناء رئيسي من فقرتين أُسلوبا أو قاعدة واحدة بينما هما عند هِلَلِيل أُسلوبين منفصلين ويبدو أنه سار على النمط الذي

[1] ينظر الموقع الرقمي: https://ar.wikipedia.org/wiki/ اللغة السنسكرتية. الاطلاع:2024/05/26 01:52.

وضعه رابي إليعازر بن يوسي الجليلي حيث ذكرهما ضمن أساليبه على أنهما أُسلوب واحد فقط، وهو الأسلوب الثامن عنده"[1].

أما عند اليونان : "نجح جورجياس السفسطائي في أن يقدم نظرية في الفن تتفق وهذه النزعة الواقعة الجديدة، فذهب إلى القول بأن غاية الفن هي التأثير في النفس بواسطة أساليب الإيهام والخداع وإثارة العواطف الإنسانية و طبق نظريته العامة في الفن على الخطابة، فأعلن أن غاية الخطابة هي الإقناع بما في لغة الخطيب من سحر يؤثر في نفوس السامعين بصرف النظر عن مراعاة أي حقيقة"[2].

الملاحظ أن الترجمة كانت تؤدي دورا هامًا في نقل بعض الأساليب التعبيرية من حضارة إلى أخرى، أين تعجز الألفاظ عن استيعاب المفاهيم الجديدة وتضيع المعاني ويدب التحريف، فعلى سبيل المثال فيلون السكندري يهودي الديانة، أفلاطوني الفلسفة، الذي اشتهر بكتاب الترجمة السبعينية[3].

أما العرب، فقد اهتموا بفن القول في نثرهم وخطبهم وشعرهم كاهتمامهم بشؤون حياتهم، لأنهم كانوا أهل سليقة، يتسابقون ويتنافسون في ميادين الشعر والنثر ، كسوق عكاظ، والمربد، وذي مجاز وغيرها. وكان قصب السّبق، لأفصحهم قولا وأبلغهم معنًى. كان الشاعر فيهم يتخيّر من الكلام أجوده، فيرتبه أحسن ترتيب ويُسبكُه أحسن سبك، في أسلوب ماتعٍ راقٍ، لأن الأسلوب هو قطب الرحى في الكشف عن القيم الجمالية الموجودة في دواوينهم، فانصبّ اهتمامهم على

[1] عبد الرزاق أحمد قنديل، الأثر الإسلامي في الفكر الديني اليهودي، دار التراث ،1984، ص116.

[2] أميرة حلمي مطر ، الفلسفة اليونانية تاريخها و مشكلاتها،دار قباء ،1998،القاهرة،مصر ،ص213

[3] ينظر سلوى ناظم، الترجمة السبعينية للعهد القديم، بين الواقع والأسطورة، يعد هذا الكتاب دليل واضح على تحريف التوراة الذي أوردناه في المقدمة.

تصيّد الألفاظ وموائمتها لمعانيها، وهم على هذه الحالة ، حتى نزل القرآن الكريم وتحداهم فيما كانوا يُجيدونه، فبهرهم ببلاغته وحُسن بيانه ، وأعجز الفطاحل منهم . سواء خطباء كانوا أم شعراء.

الأسلوب لغة: هو الفن أو الطريق أو الطريقة، ففي لسان العرب [1] يُقال للسطر من النخيل أسلوب، وكل طريق ممّهد فهو أسلوب. الأسلوب الطريق والوجهة والمذهب ، ويجمع على أساليب. والأسلوب بالضم يقال أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه. عرفه عبد القاهر الجرجاني: "الأسلوب: الضَّرْبُ مِنَ النظم والطريقة فيه"[2]. ويورده ابن قتيبة بصيغة الجمع في مَعْرَضه مدحه للغة العربية : "وإنما يَعرف فَضل القرآن من كَثُر نَظرُه، واتسع عِلمه، وفَهِم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وما خَصّ الله به لغَتها دون جميع اللّغات، فإنه ليس في جميع الأمم أمّة أوتيت من العارضة، والبيان، واتساع المجال، ما أوتيته العرب خِصِّيصَى من الله، لما أرهصه في الرسول، وأراده من إقامة الدليل على نبوّته بالكتاب، فجعله عَلَمَه، كما جعل علم كل نبي من المرسلين من أشبه الأمور بما في زمانه المبعوث فيه" [3] ، كما عرفه محمد عبد العظيم الزرقاني: " هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه، أو هو المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه أو هو طابع الكلام أو فنه الذي انفرد به المتكلم كذلك. " [4] وفي البلاغة الواضحة " هو المعنى الموضوع في ألفاظ مؤلفة على صورة تكون أقرب لنيل الغرض المقصود من الكلام والأفعال في

---

[1] ابن منظور – لسان العرب – دار صادر. بيروت لبنان ط2000/1 ج: 07 ص 225

[2] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز، ط5 ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ط1992/2 ص81

[3] ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن الكريم، دار التراث، القاهرة، مصر، ط2، 1973، ص17

[4] محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن ط3 عيسى البابي الحلبي و شركاه ص 303

نفوس سامعيه"[1]. من التعريفات سابقة الذكر، يتضح لنا أن الأسلوب عند العرب القدامى، هو الوجهة والمذهب والطريق، هذا من باب اللغة . وهو الطريقة التي يريد أن يعتبرها الكاتب أو الأديب أو الشاعر أو الناظم للتعبير عن الغرض الذي يريده من الكلام. من جهة الاصطلاح.

نجد أن الأسلوب يحتل مكانة علمية راقية لأنه يرتكز على مرتكزين أساسيين الجانب الشكلي ويتمثل في التنظيم و الترتيب ، والجانب الفني (المضمون) يتجلى في ربط هذا التنظيم والترتيب والتخيّر فيها، لأن الألفاظ لا تنسب لها صفة الفصاحة، إلا مع ائتلافها مع بعضها البعض في التركيب، مع مطابقته لمقتضى الحال، بحيث تترتب الألفاظ فيها كما تترتب المعاني في النفس، لذا تعرف معاني الألفاظ من خلال ضم بعضها إلى البعض[2].

يتضح ذلك عند النظر في التراث البلاغي العربي ، وبالأخص عند عبد القاهر الجرجاني الذي قدّم نظرة مبتكرة في تاريخ البلاغة، هي المساواة بين الأسلوب والنظم، الذي جعل ق وام ذلك، توخي معاني النحو في نظرية النّظم الشهيرة المنسوبة له، وملخصها " اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها"[3]

كما أنّه كان سبّاقا إلى شرح مفهوم الأسلوب معللا بقوله:" واعلم أنّ (الإحتذاء) عند الشعراء وأهل العلم بالشعر وتقديره وتمييزه، أن يبتدئ الشاعر في معنًى له وغَرَضٍ أسلوبا_ والأسلوب الضرب من النظم والطريقة فيه_ فيعمُد شاعرٌ آخر إلى ذلك (الأسلوب)، فيَجِيء به

[1] علي الجارم و مصطفى امين ، البلاغة الواضحة 1445 هـ / 2011 م دار المعارف ص.12

[2] ينظر: عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص.490

[3] المرجع السابق، ص81

في شعره، فيُشَبَّه بمن يقْطع من أديمه نعْلاً على مثال نعْلٍ قد قطَعَها صاحبها، فيقال قد احتذى على مثاله"[1].

وساق أمثلة عن احتذاء الشاعر بغيره، منها قول الفرزدق:

أَتَرجو رَبيعٌ أَن يَجيءَ صِغارُها بِخَيرٍ وَقَد أَعيا رَبيعاً كِبارُها[2]

واحتذاه البعيث فقال:

وأترجو كُليبٌ أن يجيءَ حديثُها ... بخيرٍ وقد أعيا كليباً قديمُها[3]

وكأننا نخلُص من كلامه إلى أنّ الأوائل لم يكن لهم مصطلح خاص في الأسلوب، وإنْ كان مُتَضَمّنا في مقالاتهم وشروحاتهم. ليتداول المصطلح بعده عند حازم القرطاجنيّ (684هـ)، إذ يعدّ المؤسس لمصطلح الأسلوب، ذكر في كتابه " منهاج البلغاء وسراج الأدباء " أين تعرّض صاحبه فيه إلى قضايا تتعلق بالأسلوب فنجده يقول " الأسلوب هيأة تحصل عن التأليفات المعنوية والنظم هيأة تحصل عن التأليفات اللفظية"[4] وكأنّ به يخص الأسلوب بالمعاني والألفاظ بالنظم ونراه بذلك يضع حدّاً لكل منهما.

ونرى الأسلوب عند ابن خلدون (808هـ) في مقدمته : " هو المنوال الذي تنسج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه، ولا يرجع إلى يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته كمال المعنى الذي هو وظيفة الإعراب، وإلا باعتبار إفادته أصل المعنى من خواص التركيب الذي هو

[1] المرجع السابق ، ص ص 468، 469
[2] معمر بن المثنى، شرح نقائض جرير والفرزدق، ج1، المجمع الثقافي، ابو ظبي، الامارات، ط2، 1998، ص 294
[3] المرجع السابق
[4] محمد صالح الشنطي، فن التحرير العربي ضوابطه وأنماطه، دار الاندلس السعودية، ط5، 2001، ص 75.

وظيفة البلاغة والبيان، لا باعتبار الوزن . كما استعمله العرب فيه ، الذي هو وظيفة العَروض. هذه العلوم الثلاثة خارجة عن هذه الصّناعة الشعرية ، وإنما ترجع إلى صورة الذهنية للتركيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها ، على تركيب خاص . وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها، ويصيّرها في الخيال كالقالب أو المنوال، ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب و البيان، فيرصها فيه رصًّا، كما يفعله البناء في القالب أو النسّاج في المنوال، حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللّسان العربي فيه، فإنّ لكل فن من الكلام أساليب تختصّ به وتوجد فيه على أنحاء مختلفة"[1]. فالأسلوب عنده: عبارة عن صورة ذهنية منتظمة للمعاني التي توجد في خيال المتكلم، فيشبهها بالقالب والمنوال . وجَعْل ذلك الأسلوب يختلف عن أسلوب آخر بين النثر والشعر. فالأسلوب متعلق بالإبداع في استعمال ألفاظ اللغة . والنحو والبلاغة والعروض ما هي إلا وسائل تضبط هذا الكلام الذي يطابق قوانين اللغة.

ومما تقدم نقف على أنّ الجرجاني جاء مؤسسا لنظرية النظم ، التي تتآلف الألفاظ بالمعنى. و الأسلوب عنده ضرب من ضروب النظم . أما عند حازم القرطاجنيّ فالأسلوب اختصاص تأليف معنوي ، والنظم تأليف لفظي، أما عند ابن خلدون الأسلوب هو المنوال والتركيب قالب له.

[1] ابن خلدون، مقدمة ، دار القلم ، بيروت، لبنان، ط1، 1984م ، ص 570

المطلب الثاني: أنواع الأساليب الواردة في القرآن الكريم

الأسلوب القرآني:

ومما سبق يمكننا رصد بعض أساليب القرآن الكريم، التي توافق أساليب كلام العرب وطرائق تعبيرهم. يقول الطاهر **ابن** عاشور: "إن القرآن كلام عربي فكانت قواعد العربية طريقا لفهم معانيه، وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم، لمن ليس بعربي بالسليقة، ونعني بقواعد العربية مجموع علوم اللسان العربي، وهي: متن اللغة، والتصريف، والنحو، والمعاني، والبيان. ومن وراء ذلك استعمال العرب المتّبع من أساليبهم في خطبهم وأشعارهم وتراكيب بلغائهم، ويدخل في ذلك ما يجري مجرى التمثيل والاستئناس للتفسير من أفهام أهل اللسان أنفسهم لمعاني آيات غير واضحة الدلالة عند المولدين"[1].

ومن ترتيب ابن عاشور لعلوم اللسان العربي، سنتناول الدراسة حسب مستويات اللغة من مستوى صوتي، وصرفي تركيبي، وفي هذا المستوى راعينا مكونات القرآن من كونه مقسم إلى سور وآيات ثم إلى مفردات وحروف، ثم المستوى الدلالي، والمستوى البلاغي: من بيان وبديع ومعان، أين تظهر جمالية التعبير، والذي يحيلنا إلى المستوى التداولي، أين يظهر مفهوم التصوير الفني القرآني، وبتعاضد التعبير والتصوير لنصل إلى القصدية والغرضية، من تأثير في المخاطَب بهذا النص العالي والراقي على كل نصوص البشر، فالقرآن الكريم نص أُلبس كل الخصائص الراقية للسان العربي، لكنه ليس من كلامهم ولا يمكن أن نعامله معاملة كلام البشر المخلوقين، لذلك يجب إخضاع المعايير النصية للقرآن، وليس العكس، لما شهد له فطاحلة

[1] طاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، الدار التونسية للنشر، ط2،د س ، ص: 18/1.

البيان من مشركي قريش بقولهم: وإنّه يَعلو ولا يُعلى عليه. نعم، لا يَعلو عليه أي نص عربي مهما كان في راقيا فصاحة وبيانًا. لما يملكه من أساليب ذات أغراض بلاغية فنية وأدبية، التي أثّرت في العربية فتوسعت أغراضها على ما كانت عليه قبل الإسلام ، فشملت تراكيب فنية حديثة وموضوعات جديدة لم تكن معروفة عند العرب، مما أضفى على أساليبهم قوة الحجّة ودقة الإحساس الأدبي، اقتداء بأسلوب القرآن الذي راعى في اختيار ألفاظه أفصحها وأيسرها على اللسان وأسهلها على الأَفهام، مشنفة للآذان، وقد تم تركيبها تركيبا محكما عجيبًا معجزًا، ومن المُسلّم به أنّ القرآن الكريم ليس شعرا وأقرب للنثر، بلغ في أسلوبه ونظمه وإحكامه وإتقانه أعلى درجة، لا يجاريه فيها أحد من الخلق رغم أنهم كانوا أهل بلاغة وبيان وفصاحة، متميز من ناحية النظم والأسلوب عن بقية أساليبهم المعروفة. يقول الزرقاني: " إن أسلوب القرآن الكريم هو طريقة التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه ولا غرابة أن يكون للقرآن الكريم أسلوب خاص به، فإن لكل كلام إلهي أو بشري أسلوبه الخاص به، وأساليب المتكلمين وطرائقهم في عرض كلامهم من شعر أو نثر تتعدد بتعدد أشخاصهم بل تتعدد في الشخص الواحد بتعدد الموضوعات التي يتناولها والفنون التي يعالجها[1]

[1] محمد عبد العظيم الزرقاني، المرجع السابق، ص ص 303 ، 304

أسلوب القرآن الكريم:

يرى عبد الملك مرتاض أن تصنيف الكلام، من الوجهة الفنيّة لأسلبة [1] الكلام العربي، حين يستوي في قمة ذروة مستواه البياني، يخضعُ لمجموعة من المستويات اللغوية الجمالية: "إذْ فيها من جماليّة الألفاظ، وجماليّة الإيقاع، وجماليّة الصوت، وجماليّة اللّعِب باللغة، وجماليّة التقابل والتشاكل، وجماليّة التصوير الرفيع للرسالة الأدبيّة التي يتلقّاها المخاطَب الذي يتأثر، إن كان له ذوق رهيف في مَلَكَة التلقّي، بما يخاطَب به، ويُرسَل إليه، وإن كانت قيلت ارْتجالا." [2] فالمستوى البياني في نظره، لا يكون إلا إذا استوفى النص المستويات الأخرى كالمستوى الصوتي والإيقاعي، المستوى الصرفي، المستوى التركيبي، المستوى البلاغي، والمستوى الفني التصويري، مع التركيز على أمر مهم في قضية التلقي، ألا وهي الذائقة الفنيّة، لأنّ تأثير الخطاب يختلف، حسب ذائقة كلِّ مخاطَبٍ.

وافق الأسلوب القرآني أساليب العرب، لفظا ومعنى، إفرادا وتركيبا، مع أنّه يسمو عليها، يفوقُها حسنا وصياغة، يقول الرماني: " فأتى القرآن بطريقة مفردة خارجة عن العادة لها منزلة في الحسن تفوق به كل طريقة وتفوق الموزون الذي هو أحسن الكلام " [3]. يبرز تفوقها وسموها حسنا وتفردا في إيراد المعاني وتأدية الدلالات، وتقديمها في قوالب لفظية منتظمة متقاربة المخارج ومنسجمة الأداء، لا اختلاف بينها ولا تباين ، فلا ترى تنافر بين عباراتها ولا بين حروفها، فيأسرك صوت قارئه، وتشخص نفسك للدلالات المسكوبة فيه.
فأنت حين تسمع أو تقرأ أي مقطع قرآنيّ، تستشعر أن عباراته متماسكة بالقدر الذي إن زِيد

[1] عبد الملك مرتاض، نظرية اللغة العربية، دار البصائر-الجزائر، دس، ص405.
[2] عبد الملك مرتاض، المرجع السابق.
[3] جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ) : الإتقان في علوم القرآن، ج 4، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1394هـ ، 1974م ،،ص،18.

فيها لفظ أو نقُص، يختل المعنى المُراد فيه، فترى أن ألفاظه متجاورة، متلائمة، ومتجاوبة في الإيقاع والجرس؛ منسجمة دلالةً ومعنى، حيث يستحيل عليك أن تستغني فيه عن مفردة منه دون إخلالٍ بالمعنى المقصود، فكل مفردة في مكانها لا يمكن استبدالها بغيرها، فلو استبعدناها لم نقدر أن نضع مكانها أخرى تقوم مقامها وتؤدي وظيفتها، فلكل لفظة دلالاتها في التركيب، وموضعها لا يلائم غيرها، فمهما رددت النظر وكررت التلاوة فلن تقف على زيادة فيه أو نقص أو ترادف في الكلمات.

يقول الزرقاني[1]: "ومن عجيب أمر هذا الجمال اللغوي وذاك النظام الصوتي أنهما كما كانا دليل إعجاز من ناحية كانا سورا منيعا لحفظ القرآن من ناحية أخرى، وذلك أن من شأن الجمال اللغوي والنظام الصوتي أن يسترعي الأسماع ويثير الانتباه ويحرك داعية الإقبال في كل إنسان إلى هذا القرآن الكريم، وبذلك يبقى أبد الدهر سائدا على ألسنة الخلق وفي آذانهم ويعرف بذاته ومزاياه بينهم فلا يجرؤ أحد على تغييره وتبديله مصداقا لقوله سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[2]". ومن هذا الباب حاولنا رصد تلك الأساليب العربية المبثوثة في القرآن الكريم، مُبَيّنِين أغراضها في تبليغ المعاني المُضَمَنَة في حروفه، مفرداته، آيه وسورهِ، وعرضنا المستويات عرضا موجزا مع التركز علي المستوى الإيقاعي والتصوير الفني، اللّذان سيتكرر ذكرهما مع كل المستوى.

[1] محمد عبد العظيم الزرقاني، المرجع السابق، ص313
[2] سورة الحجر، الآية :9

المستوى الصوتي:

النظام الصوتي للقرآن يسلب الأسماع ، ويسترعي النفوس، ويسلب العقول في ائتلاف حركاته وسكناته، مدوده وغناته، واتصالاته وسكتاته، بصورة تختلف في الاتساق والانسجام، عما يجده صاحب الذوق الفني في غيره من الكلام، حتى لو كان هذا الكلام سهلا جزلًا عذبًا موجزا، فإنه لا يخلو من قصور في المعنى، أو ثقل في النطق، أو خلل في الترتيب. تأباه أذن الأعجمي ناهيك عن العربي، فينتبه لتلك الخصائص الصوتية من حيث وقعها الجرسي في أذنه، مع أنه لا يفهم معناه، ولا يعرف أساليب العرب في الكلام ومُؤداه، فتأسِرُه تلك الفواصل الصوتية الرخيمة، المتوافقة بشكل عجيب، التي تفوق في حسنها وجمالها كل ما عرف من ألحان الموسيقى وترانيم الشعر، لأن الموسيقى _ إن طال وَقعُها_ في تشابه أجراسها وتقارب أنغامها، تصيب السامعَ بالملل، فلا يفتأ أن يمجها سَمْعُه، ويسري إليه السأم والضجر، لكن جرس القرآن لا يسأم منه ولا يمل، يتوزّع فيه الإيقاع بانتظام ألحانه المتنوعة، وأنغامه المتجددة على موجات صوتية مختلفة، يهزّ كلٌّ منها نياط القلوب وسويداء الأفئدة.

لصوت الحرف في علاقته مع الحروف المكونة للمفردة القرآنية انسجام، قل أن نجد مثله في الكلام، تشارك فيما بينها في ظاهرة صوتية تستجلي المعنى حسا وفكرا، حيث يأتي جرْس ألفاظ القرآن ونغم سياقه مؤتلفا مع معانيه، متضافراً معها في أداء المواقف النفسية، والحالات الشعورية تظافرا دقيقا، من خلال ما تُؤَديه صفات أصوات الحروف من وظائف عضوية حركية، وأخرى دلالية سياقية، لأن مخارج الحروف وصفاتها، تؤثر في صناعة اللفظة المُفردة صناعة عجيبة، على امتداد تجويف الجهاز الصوتي، من الحلق، إلى تجويف الفم، فالشفتين والخيشوم. فلا تجد في القرآن الألفاظ الحوشية والثقيلة على اللسان، إلّا وردت لتؤدي معنىً مقصودا. كما أن الألفاظ مصوغة موافقة للمعنى المراد موافقة مثيرة للاهتمام منها على سبيل

المثال: الفعل (هزّ)، والفعل (أزّ)، في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾[1] ، وقوله تعالى: ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾[2] .

ما يُلاحظ في أنّ الألفاظ التي تتقارب في المخرج الصوتي، تتقارب كذلك في المعنى. مثلا كلمة (أزاً) في قوله تعالى: ﴿ تأزهم أزا ﴾ . يقول ابن جني أنّ الأزُ مثل الهزِ، فالهمزة والهاء لهما نفس المخرج الصوتي، من أقصى الحلق، و يشتركان في معنى الإزعاج، مع زيادة في المعنى للأزِ مقارنة مع الهَزِ، لأن الهمزة أقوى في النطق من الهاء وأشّدُ ؛ يقول ابن جني موضحا: "وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز، لأنك قد تهز ما لا بال له، كالجذع وساق الشجرة، ونحو ذلك".[3]
ونظير هذا مبثوث في كل السورة، أين يؤدي صوت اللّفظ دلالة نحوية وأخرى معنوية، تنعكس على دلالة سياق الآية والسورة بصفة عامة.

المستوى الصرفي:

راعى القرآن دلالة الأوزان الصرفية، فتجد أوزان الأفعال والأسماء متوافقة منسجمة مع وظيفتها التركيبية في الجمل، وكذلك في السياق، حيث يتنوع استعمال الأسماء في الجمل، بين الأسماء المشتقة و دلالتها الاشتقاقية، وصيغ الأفعال ودلالة حدوثها زمنيا، وكيفية حدوثها، فالنزول يكون من الأعلى إلى الأسفل، والرجوع يكون للمكان الذي غالبا يُنطلق منه، ومثلها: اسم المرة واسم المكان والظروف، صيغ المبالغة، والصفات المشبهة وغيرها.

[1] سورة مريم: (83)
[2] سورة مريم: (25)
[3] ابن جني، المرجع السابق

قال تعالى: ﴿ والعاديات ضبحا ﴾[1]. العاديات ورد بصيغة الجمع المؤنث السالم، مفردها عادية، صيغت على وزن اسم فاعل(عادي)، المشتق من الفعل الثلاثي(عدا)، المصدر (العدو)، حدث إعلال في الصياغة لأن اسم الفاعل يكون حسب القاعدة هو (العَادِوُ)، ضبحاً: مفعول مطلق لفعل محذوف، على وزن (فَعْل) لفعلٍ محذوف(ضَبَح).

المستوى التركيبي(النحوي):

تخضع الآيات والجمل القرآنية حسب الغرض الذي تؤديه، من حيث التركيب، إلى قواعد العربية، ومن حيث العلاقة الإسنادية، تتنوع الجمل بين الاسمية والفعلية، وما فيها من علاقات بين عناصرها، من تقديمٍ وتأخيرٍ، حذفٍ، بناء وإعرابٍ، ونسبةٍ؛ أين ترتبط العلاقة بين الوظيفة النحوية التي تحكُم المعاني النحوية من جمع وتثنية، وتذكير وتأنيث، وغيرها، بالمعاني الخاصة أو القرائن المعنوية، كالإسناد والتبعية والجهة والنسبة، حيث تأتلف المعاني النحوية مع قرائنها المعنوية، بالإضافة إلى القرائن الصوتية والصرفية، ليستقيم المعنى بنائيا(نحويا). وهذا ظاهرٌ للعيان في القرآن، إلا في حالات، تخرّج تخريجا، يوافق مقتضيات الحال والمآل وأساليب العرب النادرة كتذكير المؤنث، وتأنيث المذكر، ومخاطبة المفردة بالمثنى، والجمع بالمفرد، وهذا ما يقودنا إلى مضمون المستوى البلاغي، الذي تناول قضايا البديع والبيان والمعاني.

[1] سورة العاديات: (1)

المستوى البلاغي:

نتناول في هذه الفقرة، بعضاً من الأساليب البلاغية من بديعية، بيانية، ومعنوية.

1 الأساليب البديعية في القرآن الكريم: كثيرة لدرجة أنّ القرآن كله بديع، ولها وظائف وأغراضٌ زُخرفيّة[1]، وأخرى دلالية، تخدم الشكل والمعنى، منها:

أ- الطباق في قوله تعالى: ﴿ يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون﴾.[2] ورد الطباق في (الحي والميت)، (الميت والحي)، (يحيي وموتها).

ب-المقابلة: في قوله تعالى: ﴿ فليضحكوا قليلًا وليبكوا كثيرًا ﴾.[3] وردت المقابلة في (فليضحكوا قليلًا) و(وليبكوا كثيرًا).

ج-التورية: في قوله تعالى: ﴿ وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ﴾.[4] وردت التورية في كلمة جرحتم (المعنى القريب: الجرح الجسدي) و(المعنى المقصود: جرح النفس بالذنوب).

د-المشاكلة: في قوله تعالى: ﴿ نسوا الله فنسيهم﴾. [5] وردت المشاكلة في لفظين (نسوا، فنسيهم) فقد ذكر معنى بلفظ غيره لوقوعه في صحبة ذلك الغي؛ فالله تعالى منزه عن النسيان.

---

[1] الزخرف: التمنيق و التجميل و التزويق، قال تعالى في سورة الأنعام،الآية(112): وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا.

[2] سورة الروم: (19)

[3] سورة التوبة: (82)

[4] سورة الأنعام: (60)

[5] سورة التوبة: (67)

هـ–السجع في قوله تعالى: ﴿ إنا أعطيناك الكوثر * فصلِ لربك وانحر ﴾.[1] اتفقت الفاصلتان في الحرف الأخير وهو الراء في الكلمتين (الكوثر، انحر)، وهذا السجع.

و–رد العجز عن الصدر: في قوله تعالى: ﴿ وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ﴾.[2] اتفقت اللفظان (تخشاه وتخشى) الأولى في آخر الكلام والثانية في أوله.

ز–الجناس قوله تعالى: ﴿ والسماء رفعها ووضع الميزان* ألا تطغوا في الميزان* وأقيموا الوزن بالقسط* ولا تخسروا الميزان ﴾.[3] ورد الجناس التام في كلمة الميزان التي تكررت ثلاث مرات بثلاث معانٍ مختلفة: الأولى بمعنى الشرع والثانية بمعنى القضاء والثالثة الميزان المعروف بأداة للوزن.

2 الأساليب البيانية:

علم البيان هو أسلوبٌ توضيح دلالةِ الكلمات من خلال فهم معانيها في سياق النّص، ويُقسمُ علم البيان إلى أربعة أقسام، وهي:

أ–التّشبيه: هو إنشاء علاقة تَشابهٍ بين أمرين لِوجود صفاتٍ مُشتركة بينهما؛ أيّ مُشاركةُ كلمةٍ لغيرها في المعنى، وللتشبيه أربعة أركان وهي: المُشبّه، والمُشبّه به، وأداة التّشبيه، ووجه الشّبه.

ب–الاستعارة: هي تشبيهٌ حُذِف أحد طرفيه المُشبّه أو المُشبّه به، واللّذان يشترطُ وجودهما لِإتمام التّشبيه، وعند غياب أحدهما تظهر الاستعارة.

ت–الكناية: هي الأسلوب الذي يُستخدم معنىً ظاهراً للفظ في الجملة ولكن يُراد به معنىً آخر.

[1] سورة الكوثر: (1-2)
[2] سورة الأحزاب: (37)
[3] سورة الرحمن: (7-10)

ج–المجاز: يعرَّف المجاز على أنّه استخدام اللفظ في غير ما وُضِع له، لعلاقته مع قرينة تمنع إيصال المعنى الحقيقي له، فيكون اللفظ قد جاء لغير ما جاء له بالأصل، كما أنّ عبد القاهر الجرجاني فرّق بين الحقيقة والمجاز، بأنّ الحقيقة هي كل لفظ يأتي بمعناه الأصلي، ويفيده، أما المجاز فهو اللفظ الذي يوصل معنى غير معناه الأصلي، والذي قسمه الجرجاني إلى أنواع هي: المجاز العقلي والمجاز اللغوي الذي يتفرع إلى المجاز المرسل والاستعارة.

3 الأساليب المعنوية:

يدرسها العلم المعاني، ويُراعى فيه حسن استخدام الألفاظ؛ ليعبّر عن الموقف في سياقه، بأدق وأوجز العبارات، وأدق معاني الكلام الموافقة لمقتضى الحال . يقسمُ علم المعانيّ إلى مجموعةٍ من الفروع، من أهمّها الخبر والإنشاء؛ إذ إنّ الأساليب في العربيّة إمّا أن تكونَ خبريّة، أو إنشائيّة.

أ–الأساليب الخبرية: هي الكلام الذي لا يمكن الحكم على صدقِه من كذبه. و ينقسم إلى طلبي و إنكاري ومن أدواته: التوكيد بنون التوكيد، لام القسم، حرف"قد" قبل الفعل الماضي، لام الابتداء، إنّ، أنّ، المفعول المطلق، ضمير الفصل، الحروف الزائدة، وحروف التنبيه.

ب–الأساليب الإنشائية: الإنشاء: هو الكلامُ الذي يحمل فكرةً واحدة مع تنوّعِ المعانيّ الخاصّة بكلماته، ولا يصحُّ وصف قائله بالصّدق أو الكذب؛ لأنّه يعتمدُ على إنشاء الكلمات بالاعتمادِ على قولِ المتكلم. والأساليب الإنشائية كثيرة: منها الاستفهام، النهي، التمني، الرجاء، النداء، التعجب، والأمر...وغيرها.

إ ن للقرآن الكريم أسلوبا خاصا، وهو ضرب من ضروب البلاغة والبيان، لأنّ له قيمة أسلوبية بلاغية جمالية، تكمن في استمالة النفس والتأثير فيها ومخاطبة العقل وإرشاده. فأسلوب

القرآن يتسم بالوضوح والدقة، ويضع ذلك كلّه في قالب من الصور البيانية ، أمام ناظري القارئ، وكأنّ المشهد يتمثل أمام عينيه ، مما يجعله يعيش معه حركةً وسكون اً، فامتاز أسلوبه بجمالية التعبير ودقّة التصوير وقوة التأثير واتساع دلالة النص ، فللقرآن نزل كمعجزة بيانية تحدّى فيها النبيّ الأميّ براعة العرب الجاهليين في بيانهم شعرا ونثرا.

نخلُص في هذا المطلب إلى معظم أساليب القرآن _حسب رأي صاحب كتاب روائع القرآن_ وسنعرض الأسلوب استعراضا سريعا يجلّي في أذهاننا روعته مع التفريق بينه وبين أيّ نظم أو كتاب آخر:

1 -الاتساق الموحد المنفرد:

يسمو القرآن الكريم عن كلام البشر شعراً ونثراً؛ فهو ليس على أعاريض الشعر في رجزه ولا في قصيده، وليس على سنن النثر المعروف في إرساله ولا في تسجيعه، له قوانينه الخاصة به في صياغة عباراته، وتآلف تراكيبه، فتجد في حروفه تناسقا عجيبا، بين الرخو والشديد، والمجهور والمهموس، والممدود والمقطوع، بحيث يؤلف اجتماعها لحنا إيقاعيا ذا طابع جمالي فريد، في نسق العجيب[1].

لا سجع فيه، إلا ما جاء متفقا مع فواصل آياته،في الوزن والحروف فلا يسمى بذلك القدر سجعا، ولعلّك تعثر فيه على مقاطع ، يتوالى فيها الكلام على وزن واحد ، مع اتفاق الفاصلة،

[1] ينظر : محّمد سَعيد رَمضان البوطي، من روائع القرآن،مؤسسة الرسالة،بيروت،لبنان،1999،ص.140

غير أنّه مما يعترض في الكلام اتفاقا ، ولا يسمى سجعا مقصودا إليه، وإنّما يقع مغمورا في الخطاب[1].

2 انسجام مواضيعه نظماً و معنىً:

ينتقل بك القرآن بين رياضه فتلمس ذلك التعبير الراقي، لا تحس بذلك الانتقال بين موضوعاته مختلفة من التشريع والقصص والمواعظ والحجاج والوعد والوعيد..

3 قدرةُ استغراقِ خطابه كلَّ البشر ،باختلاف مشاربهم وبيئاتهم:

وهي أن معانيه صيغت، بحيث يصلح أن يخاطب بها الناس كلهم على اختلاف مداركهم وثقافتهم وعلى تباعد أزمنتهم وبلدانهم، ومع تطور علومهم واكتشافاتهم [2]. لذا نجد أن خطاب القرآن متوجه إلى أهل العصور المتتالية كلها، وليست خاصّ ا بقوم دون قوم أو جيل دون جيل آخر.

4 ظاهرة التكرار للألفاظ والمعاني:

وفي القرآن من هذه الظاهرة نوعان :أما أحدهما فتكرار بعض الألفاظ أو الجمل، ويأتي على وجه التأكيد، ثم ينطوي بعد ذلك على أوجه بلاغية أخرى كالتهويل، والإنذار، والتجسيم،

[1] ينظر: أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، دار المعرف، القاهرة، مصر، تح أحمد صقر، د س، ص 57

[2] محّمد سَعيد رَمضان البوطي، من روائع القرآن،مؤسسة الرسالة،بيروت،لبنان،1999،ص115.

والتصوير. وأما الثاني فتكرار بعض المعاني كالأقاصيص والأخبار . وللتكرار أثر بالغ في تحقيق هذه الأوجه البلاغية التي تفي بالغرض، من توجيه المخاطَب إلى حقائق الدين ومعاني الوعد والوعيد بالطريقة التي يألفها، وهي تكرار هذه الحقائق في صور وأشكال مختلفة من التعبير والأسلوب .

المطلب الثالث: الخصائص العامة لأسلوب القرآن الكريم

الخصيصة تم تناول تعريفها في الجزء المخصص لخصائص القرآن المكي.

العامة: مذكرها العام. والعام لغة: الشامل.

واصطلاحاً: " اللفظ المستغرق لجميع أفراده بلا حصر، مثل: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾[1]، فخرج بقولنا: المستغرق لجميع أفراده؛ ما لا يتناول إلا واحداً كالعَلَم والنكرة في سياق الإثبات؛ كقوله تعالى: ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾[2]، لأنها لا تتناول جميع الأفراد على وجه الشمول، وإنما تتناول واحداً غير معيَّن .وخرج بقولنا » بلا حصر «؛ ما يتناول جميع أفراده مع الحصر كأسماء العدد: مئة وألف ونحوهم"[3].

الخصائص العامة: تركيبٌ من خصوص وعموم، يدل على الاشتراك، كأنّك تقول الخصائص المشتركة للأسلوب في مقابل الخصائص المنفردة، وهذا ما ذهب إليه صاحب كتاب التصوير الفني في القرآن بقوله: " بوقوف الباحثين في بلاغة القرآن عند خصائص النصوص المفردة، وعدم تجاوزها إلى الخصائص العامة، وصلوا إلى المرحلة الثانية من مراحل النظر في الآثار الفنية، وهي مرحلة الإدراك لمواضع الجمال المتفرقة، وتعليل كل موضع منها تعليلا منفرداً، ذلك مع ما قدّمنا من أن هذا الإدراك كان بدائيا ناقصا.أما المرحلة الثالثة– مرحلة إدراك الخصائص العامة– فلم يصلوا إليها أبدا، لا في الأدب، ولا في القرآن..." [4] وقوله: "وإن لهذا الكتاب العظيم لخصائص مشتركة، وطريقة موحدة، في التعبير عن جميع الأغراض..."[5]

يتضح مما سبق، أن الخصائص العامة لأسلوب القرآن الكريم، هي التصوير الفني، وإنْ أُختُلِف في تفاصيله، إلا أن المعنى العام هو التصوير الفني في القرآن، وما يتعلق به من

[1] سورة الانفطار الآية(13)
[2] سورة المجادلة، الآية (3)
[3] محمد بن صالح العثيمين: الأصول من علم الأصول، دار ابن الجوزي،ط4، 2009، ص34
[4] سيد قطب،التصوير الفني في القرآن،دار الشروق،ط17،2004،القاهرة،مصر،،ص34
[5] المرجع السابق،ص35

جماليات ماثلة في الصور البيانية، المسكوبة في نظم القرآن وتراكيبه، الذي يعد السمة البارزة، من سمات الأسلوب القرآني، التي يستشعرها المتلقي، ذو الفطرة السليمة، والذهن الصافي، والعارف بلغة العرب وأساليبهم في الكلام، من مشاهد ثابتة ومتحركة، أين يتحرك فيها وجدانه، مع جريان لسانه بالآيات، فكل حرف له مخرجه وصفاته النطقية، يوافق حركة أو سكنة في المشهد المَوْصُوف، فتجد المخارج السهلة والإيقاع العذب، في الكلمات الدالة على النعيم والرضى والقَبول، وتجد المخارج الصعبة والإيقاع الشديد، في الكلمات الدالة على العذاب والنار والسخط، وغيرها،ثم إن دلالة الألفاظ ترنو باتجاه المعاني، وقد أفرد النحويّون أبواب لها، منها باب: تصاقب الألفاظ يؤدي إلى تصاقب المعاني، ليصادف المخاطَب ألفاظ تتقارب في حقلها الدلالي من أفعال وأسماء وحروف معان، تشكل في تآلفها والعلاقات التي تنشؤ بينها، صورة ماثلة أمامه، يجدها في مخياله، ويحسها بجوارحه، ويتذوقها بذائقته، ويلمسها بأنامله، يراها بأعينه، وكأنه منغمسٌ في مشهد يجري فيه حيا متحركا.

في التصوير الثابت، في فن الرسم، لا يصل المختصين فيه، إلى فهم الصورة المتجسدة في اللوحة، حتى يكون لهم القدر الكافي، من العلم بقواعد الرسم، وعلم الألوان، الإضاءة وتظليل الزوايا والرؤية، وجانبا من المفاهيم النظرية عن المدارس الفنية، كالانطباعية والتجريدية، وقسطا من علم النفس ، ومعلومات عن آلية الرؤية، وكذلك هم أهل التصوير المتحرك، من صانعي المشاهد المسرحية أو السينمائية، للعلم، كثيرا ما نستعمل كلمة "تسليط الضوء" وهي كلمة مستوحاة من المسرح، فتسليط الضوء على شخصية أو جانب من جوانب المسرح، يعني التركيز على هذا المشهد خصيصا، ولا يعني إهمال المشاهد الأخرى، بقدر ما يعني أنها لا تتناسب مع السياق ومقتضى الحبكة، وهذا نجده عند علماء البلاغة في تنظيرهم لمفهوم مصاحبة الحال، وتوافق الكلام لمقتضى الحال، هذا التداخل بين الفنون البيانية في الكلام ومثيلتها في الرسم "التصوير الثابت" أو التصوير المتحرك، ترمي بظلالها على المُخاطَب أو المُشاهِد، وإن كانت قد لا تف بالمطلوب، دون الكلام المُعبر عن الواقع بمثالية، فالصورة الصامتة، تفتح الباب للتأويل، في حين أن المقال يقطع في كثير من الأمور، قديما

قيل: *قطعت جهيزة* قول *كل* خطيب"[1] ،لذلك نجد من يصف الأحداث بالكلام الجميل، المصور للموضوع المتناول أدق تصوير، والذي بدوره يحدث ذلك التأثير النفسي والعقلي، لذلك ركز المسرح اليوناني على قضية التجسيد و التطهير [2]، من خلال الملهاة والمأساة، وإن كان في معتقدنا أن الأسلوب القرآني يسمو عن مثل هذه التنظيرات، إلا أنّه لا ضير إن توافقت القواعد بالقواعد، لأن الله خلق البشر متقاربين في الفهم والإدراك والاستنباط، وإن تناءت بهم العصور والديار ،فالغاية من الوعد والوعيد، الترغيب والترهيب، هو إما تصحيح اعتقاد و سلوك أو تعزيزه أو تركه بالكلية، وهذا التطهير النفسي يحدث قبل الشروع في الفعل المطلوب تركه، وإلا استحق فاعله المثوبة أو العقوبة، أما قبل الشروع، فهذا هو مفهومه، الذي يقصد به التعديل السلوكي بوسائل تجعل المخاطب أو المشاهد يُعَدِل سلوكه، بمجرد معرفته المُسبقة لمآله، إذا أقدم على الفعل المراد تعديله، تصحيحا أو تعديلا أو تركاً؛ والأمر نفسه لمسائل التفكير والاعتقاد والتصورات الذهنية، تخضع للتعديل والتغيير والتجاوز، ربما تكون مثل هذه المفاهيم والمصطلحات نشأت في بيئة غير بيئة البلاغة والبيان، لكن تمثُلاتها، تلقي بلمحات، تُفيد منها الدراسات اللسانية، كعلم النفس والفنون المختلفة من رسم وتصوير وتمثيل سينمائي وعلوم أخرى كعلم الضوء والصوت وغيرها كثير. يقول محمد بن بكر اسماعيل: " فالقرآن الكريم يبرز المعاني المعقولة في صورة محسنة متنزعة من الواقع المشاهد مؤتلفة إئتلافا عجيبا في قوالب كلية متحركة تشعر منها الأصوات والألوان والحركات مما يجعلك تعيش مع الواقع الذي تصوره لك هذه التشبيهات والاستعارات والكنايات المسبوكة سبكا فريدا يأخذ بمجامع القلوب، ويملك على الإنسان حسه ومشاعره. فلا يحتاج إلى مزيد تصوير للحقائق التي يذكرها القرآن في ثنايا هذه اللوحات البارعة البديعة في عناصرها وإئتلافها وانسجامها مع معانيها ومراميها [3]. والخصائص

[1] أبو الفضل الميداني،مجمع الأمثال،دار المعرفة،بيروت ، لبنان، ج2 ،ص91

[2] مصطلح التطهير أو التطهير العقلي أو التنفيس أو التنفيس الوجداني المشتقة من الكلمة في سياق فلسفة أرسطو إلى التنفيس عن العواطف وتهذيبها عن طريق الفن أو أي تغير حاد في العاطفة يؤول إلى تطهير النفس من العواطف الزائدة وتجددها وإصلاحها

ينظر:/ تطهير (أرسطو)https://ar.wikipedia.org/wiki الاطلاع:2024/05/26 02:24.

[3] ينظر: محمد بكر اسماعيل،دراسات في القرآن. ص192

الأسلوبية للغة القرآن التي جعلت لغته لغة جديدة: ومنها جمال التعبير، دقة التصوير، قوة التأثير، والتصوير القرآني[1].

وفي القرآن الكريم يبرز هذا الأسلوب و خصائصه الثلاثة المذكورة في آخر الفقرة السابقة.

1 **جمال التعبير:**

لم ولن تعرف العربُ، أفصح وأبلغ، وأدق، وأبين من القرآن . لما فيه من سمات الإعجاز اللّفظي، والبياني، نظرا لتفرده في وصف وتصوير القضايا التي يعالجها، من اعتقاد وإخبار وتشريع، وله في كل موضوع جماليات تُسكب على الألفاظ المَصُوغة، صياغة تعجز القرائح أن تقلدها، فتنتفض بمشاعر النفوس المتشوقة للنعيم السرمدي، ونبض الحياة، التوّاق للاستمتاع بكل لحضة تمر بها،تلك الجماليات المختلط ة بين جماليات الإيقاع المبثوث في أصوات الحروف، وبين المعاني المُضمنة في تآلف الألفاظ، والألوان الزاهية المطبوعة بالأرواح لتلك التراكيب، والصور المُخْتمِلة في الأذهان والقلوب لتلك الحالات الإدراكية والشعورية، تسقى من معين القرآن الذي لا ينضب ولا يغور، فيربط بين كل هذه الجزئيات، ليكتمل التصوير الفني، في أبهى صوره، وأجمل تجلياته،في صورة ملؤها التخييل والتنسيق، لقد درس العرب، أول ما درسوا، النحو، بكونه أولُ ما يُفهم به الكلام، وأقسامه،فدرس وا علله وعوامله، ثم عمدوا إلى البلاغة فدرسوا كل أشكالها، محاولين بذلك فك شفرات كلام الله تعالى، ويعد عبد القاهر الجرجاني،أخرهم في الزمان، ومُتقدمهم في الشرح والبيان، فوَصل بنظره الثاقب، وعلم هـ الغزير، الى الوقوف على ما صار يُعرف اليوم بالتصوير البياني، إنّ لِفَنِ اللّعب باللغة –كما يقول عبد الملك مرتاض– دور مهم في جمالية النص، والنفس تستملح من النصوص، ما يستفِزُها، ويَصعُب عليها إدراكه للوهلة الأولى، لذلك ترى الناس تعجبها الاستعارات والكنايات، وتستمتع بالألغاز والأُحجيات، كما تستعذب المدح والوصف، وتأنس بالتنجيم والقصص، هذا فيما هو بشريّ ناقص، فكيف إذا كان النص من لدن العليم الخبير، خالق النفس و خباياها، لذلك جاء

[1] محمد بكر اسماعيل، المرجع السابق.

أسلوب القرآن ميسّرا للفهم، بسيط حسب طبيعة النفس البشرية، يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْس وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾.[1] ساق فيه العبر والوصايا، بأساليب جمالية، تسترعي النفوس قبل العقول، وساق التخويف والوعيد، في قوالب من الأجواء المشحونة بالشدة والتهديد، وهذا ما نجده في جمالية التعبير.

2 دقة التصوير:

أما دقة التصوير فهي الصور النهائية التي يظهر فيها المشهد المراد إبرازه، والصوت العالي الذي يريد لنا سماعه، و اللون الغالب، الذي يلفت الانتباه، و التيار الجارف الذي يجب علينا اتباعه، في التصوير تظهر دلائل الإعجاز الذي تتيه فيه عقول البلغاء. وهي من سمات الأساسية البارزة للأسلوب القرآني في طريقته للتعبير عن المعاني، والأفكار والتصورات التي يريد إيصالها وإيضاحها للمخاطَبين ، سواءً كانت معاني ذهنية مجردة ، أو قصصا غابرة أو مشاهد ليوم القيامة وغيرها من المجالات. فالقرآن الكريم يُبرز المعاني المعقولة، في صور محسة منتزعة من الواقع المشاهد. مليئة بالإمتاع العاطفي والتأثير الوجداني، بما اشتملت عليه من ألوان المعاني والبيان والبديع.

3 قوة التأثير:

الغاية من الكلام التأثير، فإذا كان الكلام يحمل تصويرا و تلوينا و إيقاعا، يكون التأثير قويا، سريعا، شديدا، هذا ما يتكرر في الأسلوب القرآني، حيث التصوير في لوحات فنية يخاطب عقل ووجدان كل مستمع للقرآن، في صورة حية مشرقة. فالصورة اليبانية للأسلوب القرآني تبعث في النظم قوة التأثير بنفاذها إلى العقل، واختراقها لأسوار النفس البشرية، فتلامس مشاعر الإنسان بمؤثراتها، فتعمل فيه ما يدفعه للتغير و التبدل، من تطهير نفسيّ فكريّ وجداني، فيتجه نحو كل عمل طاهر مفيد، يقربه إلى خالقه، ويأخذ بيده الى الجنة، ويَرْبؤُ بنفسه عن كل ما يغضب منه خالقه، ويجره إلى النار.

[1] سورة ق ،الآية(16)

قد اجتمعت جماليات التعبير، وصدق، ودقة التصوير، محققة قوة في التأثير، الدافعة للإنسان نحو التطهير والتغيير، وبذلك تحقق مجتمعة التصوير الفني، الذي هو أخص خصيصة من خصائص العام للقرآن الكريم.

المبحث الثالث: دراسة تطبيقية على سورة الحاقة

المطلب الأول: تقديم سورة الحاقة

المطلب الثاني: دراسة الأسلوب في سورة الحاقة

المطلب الثالث: الخصائص العامة للأسلوب القرآني في سورة الحاقة

المبحث الثالث : دراسة إجرائية لسورة " الحاقة "

المطلب الأول: تقديم سورة الحاقة

سُمِّيت السورة بهذا الاسم لتَضَمُنِها أحوال يوم القيامة ، ومصائر الناس من المؤمنين والمكذبين، وما ينتظرهم من سعادة وشقاء ، وتسمى كذلك "السلسلة" لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ﴾[1] وهي مكية بالاتفاق. نزلت في السنة الخامسة قبل الهجرة وهي السورة السابعة والسبعون في عداد ترتيب النزول نزلت بعد سورة تبارك وقبل سورة المعارج ، واختلف البصريون وأهل الشام حول عدد آيَها، منهم من عدّها إحدى وخمسون آية ، وهناك من عدّها اثنان وخمسون آية. وجاء في سبب نزولها ما رواه أحمد بن حنبل أنّ عمر بن الخطاب قال خرجت يوما بمكة أتعرض الرسول ﷺ فجعلت أعجب من تأليف القرآن فقلت هذا والله شاعر فقرأ ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴾، فقلت "كاهن" فقرأ ﴿ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ إلى آخر السورة[2]. وتتعلق السورة بما قبلها من وجهين: ذكرت سورة (القلم) ذكر يوم القيامة مجملاً في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾[3]. وأوضح الله مفصلاً هذا اليوم و شأنه العظيم في سورة (الحاقة)، ﴿ ٱلْحَآقَّةُ۝ مَا ٱلْحَآقَّةُ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴾ . هدّد الله سبحانه وتعالى ، في السورة السابقة كلَّ من كذّب بالقرآن وتوعده لقوله تعالى: ﴿ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[4]. وذكر في سورة الحاقة أحوال

---

[1] سورة الحاقة، الآية (32)

[2] محمد طاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، دار التونسية للنشر، تونس، 1984، ص 10381.

[3] سورة القلم الآية (42)

[4] سورة القلم الآية (44)

[4] وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج، دار الفكر، دمشق، سوريا، البرامكة، ط10، 1430هـ/ 2009م، ص 9459.

الأمم، التي كذّبت الرسل ، وعقابهم. تتحدث السورة عبر محاور مختلفة ، تخدم عدة أفكار ، هي تهويل يوم القيامة، وذكر حال المعاندين والمكذبين به، والتأكيد على المصدر الإلهي للوحي، وصدق نبوة محمد ﷺ.

فالمحور الأول من بداية السورة إلى قوله تعالى رابية . ذكرت هنّا حال المعاندين المكابرين، وبيّنت أنواع العذاب الذي أصابهم في الدنيا ، وأنّ مصيرهم ، الذي ينتظرهم في الآخرة، هو النار ، مثل قوم عاد وقوم ثمود، وفرعون، ولوط.

في المحور الثاني تحدّثت عن امتنان الله تعالى على المؤمنين، في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴾ أي أنّ الله مَنَّ على نوح وذريته بأنّ أنجاهم من الطوفان ، وأدام نسله، وجعلها لكم تذكرة.

في المحور الثالث ذكرت مشاهد يوم القيامة من قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ﴾، وأهوال يوم القيامة من النفخة إلى العرض على الله سبحانه وتعالى.

وفي المحور الرابع تكلم ت عن نفسية المؤمن ،حال في الجنة، وحال المكذب الكافـر، وذكر أوصاف من العذاب من قوله تعالى:﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُ ﴾ إجمالاً في القارعة﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُ﴾، ومُفصَّلَةً في الحاقة ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُ ﴾.

أما المحور الخامس تمَّ التأكيد على المصدر الإلهي للقرآن مع صدق نبوة محمد ﷺ قوله تعالى: ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴾.

المطلب الثاني: دراسة الأسلوب في سورة الحاقة

حسب المحاور المذكورة سابقا نتناول دراسة أسلوب السورة، حسب مستوياته الجمالية من أصوات وأوزان وتراكيب وصور بلاغية. حيث أدرجنا كل آي السورة في جدولين، مرقمين حسب الصفحات من...إلى...، الأول خصصناه لرصد الأفعال، وأوزانها الصرفية، أما الثاني فرصدنا فيه الأسماء الواردة في السورة وأوزانها، و أغراضها.

المحور الأول: ضمت هذه الآيات جمل اسمية، وأخرى فعلية، الموافقة للأسلوب النحوي في نوعيه: الخبري و الإنشائي. منها:

1. الجمل الاسمية[1]: (الحاقة)، (ما الحاقة)، (وما أدراك ما الحاقة)، (فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية)، (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية).
2. الجمل الفعلية:[2] (كذبت ثمود وعادوا بالقارعة)، (سخرها عليهم سبع ليال)، (فهل ترى لهم من باقية)، (وجاء فرعون و من قبله والمؤتفكات بالخاطئة)، (فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية).

تنوعت الأساليب في هذه الآيات بين الأسلوب الخبري والأسلوب الإنشائي، فبدأ الله عز وجل سورة الحاقة بأسلوب خبري يؤكد حقيقة وقوع يوم القيامة، وأعقبه بأسلوب استفهامي : الأول في قوله تعالى: ﴿ ما الحاقة ﴾، الذي غرضه إثبات الحقيقة الأولى ليوم البعث، والاستفهام الثاني في قوله تعالى: ﴿ فهل ترى لهم من باقية ﴾، دلالة على هلاك أقوام السابقة بمعنى: هل علمت يا محمد "صلى الله عليه وسلم " هلاك هذه الأمم.

[1] ينظر للجدول المرفق
[2] ينظر للجدول المرفق

تكررت الفاصلة القرآنية (الحاقة) بكونها كلمة تامة في الآية الأولى، وفي الآية الثانية احتلت المرتبة الثانية والمرتبة الرابعة في الآية الثالثة. في تراتُبيّة إيقاعية ودلالية تُوحِي للمستمع بعِظم شأنها وأهميتها. وورد مرادف لها ، وهو القارعة في الآية الرابعة: ﴿ كذبت ثمود بالقارعة ﴾. أين تم العدول من الحاقة إلى القارعة ، وغرض التكرار، التوكيد اللفظي في (الحاقة) والمعنوي في (القارعة) الدال على هول ذلك اليوم المنتظر.

وجاءت رتبتها الإعرابية، أي (الحاقة) مبتدأ، (ما الحاقة) جملة اسمية في محل خبر. (وما أدراك ما الحاقة) مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية في م حل خبر.

ينتقل الإيقاع الجرْسي في الحاقة من مخرج الحاء (وسط الحلق) والموصوف بالضعف إلى مخرج حرف القاف (أقصى اللسان) والموصوف بالقوة والشدة، ليتآلف مع ألف المد وهاء السّكت، مكوّناً إيقاعا صوتياً، يتنوع ما بين الضعف والقوة.

والحاقة اسم فاعل ، مُعرّفٌ بالألف واللام ، مؤنثٌ مشتقٌ ،من الفعل المضعف حقَّ، ويعمل عمل فعله مطلقاً (الحَاقُ للحقِّ) كقوله تعالى: :﴿ ويحق الله الحق بكلماته ﴾. والذي يدل على الثبوت واللزوم للمسمى وليس عرضا مؤقتا.

ورد أسلوب الاستفهام بتوالي سؤالين المراد منهما لفت الانتباه للموضوع المستفهم عنه، مع تأكيد استحالة معرفة ذلك اليوم لورود كلمة (ما أدراك) الدالة على انتفاء إدراك المخاطَب لمضمون هذا السؤال.

﴿ كذبت ثمود وعاد بالقارعة ﴾: جملة فعلية لفاعلين (ثمود وعاد) ، استعمل أسلوب العطف بحرف الواو وغرضه الحذف لتجنب التكرار. وخص ثمود وعاد بالذكر لبقاء آثارهم في أرض

العرب. ويدل الفعل الماضي كذبت على الحدث وانقطاعه في الزمن.والقارعة اسم فاعل معرَّف ومؤنثٍ، يفيد اللزوم والثبوت. مشتقٌ من الفعل قرع الذي يدل على

صوت القرع وفعله،وفي إيقاعها ابتدأت (القارعة) بصوت القاف القوي ليتنقل إلى صوت الراء الذي يتصف بالانحراف مسببا تكرارا بسيطا في مخرجه. ويليه صوت العين الرخو المُسْتَفِل.

﴿ فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية ﴾: جملة اسمية خبر مبتَدَئِها جملة فعلية، فعلها لم يسمى فاعله. والراجح في (الطاغية) على أنها صيغة مبالغة صيغت على وزن اسم الفاعل المؤنث.

﴿ وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ﴾: تكرر الفعل أهلكوا في هذه الآية ليؤكد على المصير المحتوم الذي نالته عاد و ثمود، مع اختلاف وسيلة العذاب (ريح صرصر عاتية) ليصف لنا شدة وعُتوَّ هذه الريح المدمرة، بتكرار أوصافها بألفاظٍ وصيّغٍ تدل على شدة البرد في صرصر. وفي عاتية على صيغة المبالغة. مع التأكيد على مدة العذاب ومآله في الآية الموالية ﴿ سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما* فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ﴾.

تكررت كلمة الحاقة أكثر من مرة، لتدل على أسلوب التوكيد، ووظف جملا اسمية لدلالة على وصف المشاهد بتفاصيلها، وأخرى فعلية تنقل وتسرد أحداث وقعت في الماضي على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿ كذبت ثمود وعاد بالقارعة ﴾، جاءت تاء التأنيث الساكنة لتدل على المبالغة في فعل بالتكذيب وجاءت الآية الكريمة ﴿ فإذا وقعت الواقعة ﴾، لتضعنا في أسلوب من أساليب العرب، وهو توظيف الفعل الماضي لدلالة على المستقبل حتمي الوقوع المتمثل في الواقعة. كما ورد أسلوب التكرار في هذه الآيات الأولى ليوم القيامة عدة مرات،

وذلك بتوظيف مرادفها : (الحاقة، القارعة، الواقعة)، ويعد هذا ظرف من ظروف البلاغة الذي غرضه تقوية المعنى وتوضيحه.

المحور الثاني:

قوله تعالى: ﴿ إنا لما طغا الماء حملناكم في الجارية لنجعلها تذكرة وتعيها أذن واعية﴾.

ورد في الآيتين الكريمتين جرس موسيقي، بإيقاع ، المتمثل في حرف (هاء السكت)، للحفاظ على جمالية الأسلوب . الآية الأولى وردت بأسلوب خبري حاملة في طياتها جملة اسمية، تضمنت أسلوب الشرط (لما طغا الماء)، وجواب شرط (حملناكم في الجارية) ، لغرض بلاغي يدل على امتنان الله عز وجل على نوح وذرية بالنجاة من الطوفان، والآية الثانية ، جاءت بأسلوب التعليل ﴿ لنجعلها لكم تذكرة ﴾؛ ليدل على وجوب أخذ العبرة بقصة النجاة نوح وقومه .

ودلت الأسماء الآتية : الماء، الجارية، تذكرة، أذن، واعية، بصيغها الصرفية (فعل، فاعل، تفعلة، فعل، فاعلة) على جمالية الوصف ودقة التصوير .

وجاءت الأفعال متنوعة بين الماضي (طغى، حمل) لدلالة على حدث وقع، والمضارع (نجعل، تعي) لدلالة على استمرارية الحدث المتمثل في هذه التذكرة، التي تعييها الأذن الواعية.

وقد جاءت هذه الآيات بأسلوب وصيغة الجمع المخاطب لتدل على كرم وامتنان الله عز وجل على نوح وذريته، وكل من يقرؤها من البشر، لأنهم بالضرورة من أبناء نوح–عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾[1].

[1] سورة الصافات: (77).

المحور الثالث :

من قوله تعالى: ﴿ فإذا نفخ في السور نفخة واحدة وحملت الأرض والجبال فدكتا دكتا واحدة فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية وملك على أرجاءها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ﴾. ومازالت السورة تحافظ على ذلك الجرس الموسيقي والإيقاعي ، المتمثل في(هاء السكت) في فواصل الآيات الآتية: (واحدة، واقعة، واهية، ثمانية، خافية) التي وردت بصيغة صرفية(اسم فاعل)؛ لتدل على الحدث والاستمرارية.

بدأت الآيات في هذا المحور بفعل لم يسمى فاعله (نفخ حمل) لدلالة على فعل نفسه، ونتائجه دون تركيز على الفاعل لإبراز القوة والعظمة الإلهية في تنفيذ الأحداث دون الحاجة إلى الأداة والوسيلة. وقد ورد أسلوب الحذف في قوله تعالى: ﴿ فدكتا دكة واحدة ﴾ حيث جمل الله عز وجل دكة الأرض والجبال بقرينة واحدة"، وهذا أسلوب بلاغي يهدف إلى دقة التصوير والإيجاز ، وتكرر ظرف الزمان "يومئذ" أربع مرات لتأكيد والدلالة على أن كل هذه الأحداث والمشاهد ستقع عند النفخ في السور ، واشتملت الآيات على جمل اسمية ، تبين وتصف الوقائع والأحوال بمعنى، الوقائع هي تلك المشاهد التي تحدث بعد النفخ وأحوال الناس في العرض على ربهم.

المحور الرابع:

من قوله تعالى: ﴿ فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه ولم أدر ما حسابيه ياليتها كانت القاضية ما أغنى غنى ماليه هلك عنى سلطانيه خذوه فغلوه ثم الجحيم

صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين فليس له اليوم هاهنا حميم ولا طعام إلا من غسلين لا يأكله إلا الخطئون ﴾ .

جاءت الآيات البينات في هذا المحور الرابع محافظة على جرسها وإيقاعها الموسيقي، المتمثل في هاء السكت لتطرب آذان المخاطب، وتعطي لأسلوب القرآن جمالية، وقد وردت هذه الكلمات (كتابيه، حسابيه، رابية، عالية، دانية، خالية، حسابيه، راضية، ماليه، سلطانيه) بصيغ صرفية على وزن (فعال، فاعل، فعلانية، فعال) لتدل على الحدوث والاستمرارية.

وقد ورد أسلوب الأمر في هذه الآيات بكثرة (اقروا، كلوا، اشربوا، خذوه، فغلوه، صلوه، اسلكوه)، بأغراض مرتبة على النحو الآتي:

_ الالتماس: في قوله تعالى: ﴿ اقرؤوا كتابيه ﴾.

_ الامتنان، والإنعام : في قوله تعالى: ﴿ كلوا واشربوا ﴾. أي أن الله عز وجل قد تفضل على المؤمنين امتنانا، وإنعاما، وإحسانا.

_ الذم والتحقير: في قوله تعالى: ﴿ خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فسلكوه ﴾.

_ ورد أسلوب النداء والتمني: في قوله تعالى : "(يا) (ليتني)" فالأول النداء جاء لغرض تبيان الحسرة والندامة التي يشعر بها الكافر، أما الثاني (التمني) فقد حمل فائدتين: حقيقية متمثلة في طلب شيء محبوب، و أخرى بلاغية: كونه مستحيل بعيد المنال.

بين الله عز وجل في هذا المحو، صورتين مختلفتين متقابلتين : مقابلة في قوله تعالى : ﴿ فأما من أوتى كتابه بيمينه ﴾، وفي قوله تعالى : ﴿ وأما من أوتى كتابه بشماله ﴾، صورة

المؤمن و صورة الكافر وهذا ما يسمى بأسلوب المقابلة، الذي يهدف إلى تقوية المعنى وتوضيحه. وقد حملت هذه الآية ﴿ فأما من أوتي كتابه بيمينه ﴾. أسلوب شرط (أما) ليصور لنا فرحة المؤمن بقوله : ﴿ فيقول هاؤم إقروا كتابيه ﴾.أما أسلوب الشرط الثاني؛ فهو يصور لنا صورة الكافر وندمه وذلك بقوله تعالى : "وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه"، وتكرر أسلوب النفي في قوله تعالى : " لم أوت"، "لم أدر"، "ما أغنى"، "فليس له اليوم"، "لا يؤمن"، "لا يحظ"، "لا يقول"؛ بغرض التقرير والتأكيد على أن الكافر استحق العذاب بأعماله الذي قام بها. فالجمل الاسمية جاءت في هذا المحور لتنقل لنا و تصور المشاهد بتفاصيلها حالة المؤمن والكافر بعد النفخ في الصور، لتوضح فرحة المؤمن الذي ثقل ميزانه بالحسنات، فهو في عيشة راضية، وحسرت وندامة الكافر المكذب المعاند الذي خفت موازينه فأمه هاوية.

المحور الخامس :

من قوله تعالى: فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون إنه قول رسول كريم و ما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه اليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين وإنه لحسرة على الكفرين و انه لحق اليقين فسبح باسم ربك العظيم "

انتقل في الآيات البينات في هذا المحور من جرس موسيقي(هاء السكت)، إلى جرس موسيقي آخر متمثل في حرف النون الذي هو من حروف التوسط، ليتغير الإيقاع الموسيقي للآيات إلى جرس موسيقي هادئ؛ لأنه جاء مناسبة لخواتيم الآية لدلالة على صدق نبوءة محمد ﷺ وأنه مبلغ على رب العالمين عن طريق هذا القرآن المجيد.

ويكمن الجانب الصرفي للآيات القرآنية في ورود الصيغ المبالغة واسم الفاعل لدلالة على مبالغة في الفعل واستمرارية حدوثه.

تمحور هذا المحور على أسلوب إنشائي المتمثل في القسم في قوله تعالى: ﴿ فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون إنه لقول رسول كريم ﴾، فهو أسلوب إنشائي غير طلبي لوجود القسم (أقسم)، و المقسم به " لا تبصرون وما لا تبصرون "، ووجود المقسم عليه " إنه لقول رسول كريم"، وذلك لإقرار حقيقة صدق نبوءة محمد ﷺ والمصدر الإلهي للقرآن الكريم. وحمل حرف (لو) في هذه الآية فائدة بلاغية، وهي بيان صعوبة المطلوب؛ بمعنى صعوبة تحقق الشرط، كما تنوع أسلوب الخبر بين النفي والتوكيد، حيث ذكر حرف التوكيد (إن) خمس مرات بالإضافة إلى توظيف لام التوكيد، وذلك لبيان أن النبي عليه الصلاة والسلام صادق في رسالته ونبوءته، لقوله تعالى: ﴿ إنه لقول رسول كريم ﴾ .

وأسلوب النفي في قوله تعالى : ﴿ وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليل لا تذكرون ﴾، ليزيد المعنى قوة ووضوح، وختمت الآيات بفعل الأمر في قوله تعالى: ﴿ فسبح باسم ربك العظيم﴾، ليدل على فائدة حقيقية إلزامية؛ وهي وجوب شكر الله على نعمه بعد عرض تلك المشاهد المبثوثة في سورة الحاقة.

وما نستنتجه من محاور الخمسة بسورة الحاقة: أن الأساليب فيها جاءت متنوعة، فحوت أساليب التوكيد والتكرار، والاستفهام والقسم، والوصف ، والأمر والتنوع بين الجمل الاسمية والفعلية، وتوظيف الروابط اللفظية المتمثلة في حروف العطف وحروف الجر، وأضرب بلاغية متمثلة في الطباق، والمقابلة، كل هذا خدمة بالمعنى الإجمالي بهذه الصورة، كما ساهمت المشاهد بتسلسلها المرتب والمنظم في سرد الوقائع ، وأحداث القيامة وهولها الشديد ، وسرد أحداث المكذبين، ومصيرهم ، وامتنان الله عز وجل على نوح وذريته ونفخ في سور وما يعقبه

من دك الأرض والجبال وعرض الناس للحساب، بين فرحة المؤمن، وحسرة الكافر، التأكيد على صدق رسالة محمد ومصدر الإلهي للقرآن، جاء كل هذا في جرس إيقاعي موسيقي، يضفي على أسلوب القرآن جمالية في التعبير، وذلك في تآلف الألفاظ وتماسكها ودقة في التصوي ر، لشد انتباه المخاطَب، وتركِ أثرٍ ايجابي في نفسيته، يدفعه لتعزيز إيمانه، ونبذ الكفر والتكذيب.

الأوزان الصرفية للأفعال الواردة في سورة الحاقة :

الرقم	الآية	المفردة	وزنها	نوعها	الشرح
01	الْحَاقَّةُ				
02	مَا الْحَاقَّةُ				
03	وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ	أَدْرَى	أفعل	فعل ماضٍ	يدل على حدث قد وقع
04	كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ	كَذَّبَتْ	فعللت	فعل ماضٍ	
05	فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ	أُهْلِكُوا	أفعل	فعل ما لم يسم فاعله	
06	وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ	أُهْلِكُوا	أفعل	فعل ما لم يسم فاعله	
07	سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ	سَخَّرَ تَرَى	فعّل تفعل	فعل ماضٍ فعل مضارع	يدل على حدث قد وقع يدل على الحدث واستمرارية الفعل
08	فَهَلْ تَرَىٰ لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ	تَرَى	تفعل	فعل مضارع	يدل على الحدث واستمرارية الفعل
09	وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ	جَاءَ	فعل	فعل ماضٍ	يدل على حدث قد وقع
10	فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً	عَصَوْا أَخَذَ	فعل فعل	فعل ماضٍ فعل ماضٍ	يدل على حدث قد وقع
11	إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ	طَغَا حَمَلَ	فعل فعل	فعل ماضٍ فعل ماضٍ	
12	لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ	نَجْعَلَ تَعِي	تفعل تفعل	فعل مضارع فعل مضارع	يدل على الحدث واستمرارية الفعل
13	فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ	نُفِخَ	فُعل	فعل ماضٍ لم يسم فاعله	يدل على حدث قد وقع
14	وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً	حُمِلَتِ دُكَّت	فُعلت فُعلت	فعل ماضٍ لم يسم فاعله فعل ماضٍ لم يسم فاعله	
15	فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ	وَقَعَتِ	فعلت	فعل ماضٍ	
16	وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ	انْشَقَّ	انفعل	فعل ماضٍ	
17	وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ	يَحْمِلُ	يفعل	فعل مضارع	يدل على الحدث و

	يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ				استمرارية الفعل
18	يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ	تُعْرَضُونَ تَخْفَىٰ	تفعل تفعل	فعل مضارع فعل مضارع	
19	فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ	أُوتِيَ يَقُولُ اقْرَأ	فوعل يفعل افعل	فعل ماضٍ لم يسم فاعله فعل أمر فعل أمر	يدل على حدث قد وقع يدل على الحدث و استمرارية الفعل
20	إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ	ظنّ	فعل	فعل ماضٍ	يدل على حدث قد وقع
21	فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ				
22	فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ				
23	قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ				
24	كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ	كُلُوا اشْرَبُوا أَسْلَف	أفعلو افعلو افعل	فعل أمر فعل أمر فعل ماضٍ	يدل على حدث قد وقع
25	وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ	أُوتي يَقُولُ أُوتَ	فوعل يفعل إفعل	فعل ماضٍ لم يسم فاعله فعل مضارع فعل مضارع	يدل على حدث قد وقع يدل على الحدث و استمرارية الفعل
26	وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ	أَدْرِ	افعل	فعل مضارع	يدل على الحدث و استمرارية الفعل
27	يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ	كَان	فعل	فعل ماضٍ ناقص	يدل على حدث قد وقع
28	مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ	أَغْنَى	أفعل	فعل ماضٍ	يدل على حدث قد وقع
29	هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ	هَلَكَ	فعل	فعل ماضٍ	
30	خُذُوهُ فَغُلُّوهُ	خُذُوهُ غُلُّوهُ	افعلوه افعلوه	فعل أمر فعل أمر	يدل على الحتم و الإلزام
31	ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ	صَلُّو	افعلوه	فعل أمر	
32	ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ	اسْلُكُوهُ	افعلوه	فعل أمر	
33	إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ	كَان يُؤْمِنُ	فعل يفعل	فعل ماضٍ ناقص فعل مضارع	يدل على حدث قد وقع يدل على الحدث و استمرارية الفعل

34	وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ	يَحُضُّ	يفعل	فعل مضارع	يدل على الحدث و استمرارية الفعل
35	فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ				
36	وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ				
37	لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ	يَأْكُلُ	يفعل	فعل مضارع	يدل على الحدث و استمرارية الفعل
38	فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ	أُقْسِمُ	أفعل	فعل مضارع	
		تُبْصِر	تفعل	فعل مضارع	
39	وَمَا لَا تُبْصِرُونَ	أتُبْصِر	تفعل	فعل مضارع	
40	إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ				
41	وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ	تُؤْمِن	تفعل	فعل مضارع	يدل على الحدث و استمرارية الفعل
42	وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ	تَذَكَّر	تفعل	فعل مضارع	
43	تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ				
44	وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ	تَقَوَّلَ	تفعّل	فعل ماضٍ	يدل على حدث قد وقع
45	لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ	أَخَذ	فعل	فعل ماضٍ	
46	ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ	قَطَع	فعل	فعل ماضٍ	
47	فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ				
48	وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ				
49	وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ	نَعْلَم	نفعل	فعل مضارع	يدل على الحدث و استمرارية الفعل
50	وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ				
51	وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ				
52	فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ	سَبِّح	افعل	فعل أمر	

دراسة صرفية للأسماء في سورة الحاقة :

الرقم	الآية	الكلمة	وزنها	الشرح
01	الْحَاقَّةُ	الْحَاقَّةُ	اسم فاعل	
02	مَا الْحَاقَّةُ	الْحَاقَّةُ	اسم فاعل	
03	وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ	الْحَاقَّةُ	اسم فاعل	
04	كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ	الْقَارِعَةِ ثَمُودُ عَادٌ	اسم فاعل فعول فعل	
05	فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ	الطَّاغِيَةِ	اسم فاعل	
06	وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ	عَاتِيَةٍ رِيحٍ صَرْصَرٍ	اسم فاعل فعيل فعلل	يدل على الحدوث والإستمرارية
07	سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ	سَبْعَ لَيَالٍ ثَمَانِ أَيَّامٍ حُسُومًا قَوْمَ صَرْعَىٰ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ	فعل فعال فعال فعّال فعولا فعل فعلى أفعال فعل اسم فاعل	
08	فَهَلْ تَرَىٰ لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ	بَاقِيَةٍ	اسم فاعل	
09	وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ	فِرْعَوْنُ قَبْلَ مُؤْتَفِكَاتُ	فعلون فعل اسم فاعل	
10	فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً	رَسُولَ،رَبِّ أَخْذَةً رَابِيَةً	صيغة مبالغة ،فعل فعلة اسم فاعل	المبالغة في الفعل يدل على الحدوث والإستمرارية
11	إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ	الْمَاءُ الْجَارِيَةِ	فعل اسم فاعل	يدل على الحدوث

12	لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ	تَذْكِرَةً أُذُنٌ وَاعِيَةٌ	تفعلة فعل اسم فاعل	والإستمرارية
13	فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ	الصُّورِ نَفْخَةٌ واحدة	فعل فعلة	
14	وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً	الْأَرْضُ،الْجِبَالُ دَكَّةً واحدة	فعل فعال فعلة	
15	فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ	يَوْمَ الْوَاقِعَةُ	فعل اسم فاعل	يدل على الحدوث
16	وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ	السَّمَاءُ يَوْمَ وَاهِيَةٌ	فعال فعل اسم فاعل	والإستمرارية
17	وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ	الْمَلَكُ أَرْجَائِهَا عَرْشَ رَبِّ فَوْقَ يَوْمَ	فعل أفعال فعل فعل فعل فعل	
18	يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ	يَوْمَ خَافِيَةٌ	فعل اسم فاعل	يدل على الحدوث والإستمرارية
19	فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ	كِتَابَ يَمِينِ	فعال صيغة مبالغة	المبالغة في الفعل
20	إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ	مُلَاقٍ	اسم فاعل	يدل على الحدوث والإستمرارية
21	فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ	عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ	صيغة مبالغة اسم فاعل	المبالغة في الفعل يدل على الحدوث والإستمرارية
22	فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ	جَنَّةٍ عَالِيَةٍ	فعلة اسم فاعل	يدل على الحدوث والإستمرارية

23	قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ	قُطُوفُ دَانِيَةٌ	فعول اسم فاعل	
24	كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ	هَنِيئًا الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ	صفة مشبهة فعال اسم فاعل	يدل على الحدوث والإستمرارية
25	وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ	شِمَالِ كِتَابِ	فعال فعال	
26	وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ	حِسَابِ	فعال	
27	يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ	الْقَاضِيَةَ	اسم فاعل	يدل على الحدوث والإستمرارية
28	مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ	مَالِيَهْ	فاعل	
29	هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ	سُلْطَان	فعلان	
30	خُذُوهُ فَغُلُّوهُ			
31	ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ	الْجَحِيمَ	صيغة مبالغة	المبالغة في الفعل
32	ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ	سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا	فعللة فعل فعلون فعالاً	
33	إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ	الْعَظِيمِ	صيغة مبالغة	المبالغة في الفعل
34	وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ	طَعَامِ الْمِسْكِينِ	فعال فعلين	
35	فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ	الْيَوْمَ حَمِيمٌ	فعل صيغة مبالغة	المبالغة في الفعل
36	وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ	طَعَامٌ غِسْلِينٍ	فعال فعلين	
37	لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ	الْخَاطِئُونَ	اسم فاعل	يدل على الحدوث والإستمرارية
38	فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ			
39	وَمَا لَا تُبْصِرُونَ			
40	إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ	قَوْلُ رَسُولٍ	فعل صيغة مبالغة	المبالغة في الفعل

		كَرِيمٍ	صيغة مبالغة	
41	وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ	قَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا	فعل اسم فاعل فعيلا	يدل على الحدوث والإستمرارية
42	وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ	قَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا	فعل اسم فاعل فعيلا	
43	تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ	تَنْزِيلٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ	تفعيل فعل فاعلين	
44	وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ	الْأَقَاوِيلِ	صيغة منتهى الجموع	
45	لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ	الْيَمِينِ	صيغة مبالغة	المبالغة في الفعل
46	ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ	الْوَتِينَ	فاعيل	
47	فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ	أَحَد حَاجِزِينَ	فعل اسم فاعل	يدل على الحدوث والإستمرارية
48	وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ	تَذْكِرَةٌ مُتَّقِينَ	تفعلة اسم فاعل	
49	وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ	مُكَذِّبِينَ	اسم فاعل	يدل على الحدوث والإستمرارية
50	وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ	حَسْرَةٌ الْكَافِرِينَ	فعلة اسم فاعل	
51	وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ	حَقُّ الْيَقِينِ	فعل صيغة مبالغة	المبالغة في الفعل
52	فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ	اسْمِ رَبِّ الْعَظِيمِ	فعل فعل صيغة مبالغة	

المطلب الثالث: الخصائص العامة للأسلوب القرآني في سورة الحاقة

1 جمالية التعبير:

أُفتُتِحت السورة ببدء الحديث عن يوم القيامة بطريقة مدهشة، بفواصل قصيرة، تقرع الآذان بجرس موسيقي، يحمل في موجاته تلك النبرة المتكررة (الحاقة، ما الحاقة و ما أدراك ما الحاقة) بثلاث موجات متعاقبة متدرجة على صيغة صرفية ثقيلة، يأت ي فيها الاستفهام غير الطلبيّ، عن يوم القيامة ، لتوحي بعظم هذا اليوم ، موجة حرف (القاف) المشددة التي لها وقع على الأذن، المبيّن لها باسم الفاعل ، مع أسلوب التكرار ليدل على المبالغة و التهويل، واللزوم والاستمرار لهذا اليوم، بتوظيف المرادفات الحاقة، القارعة، الواقعة، وتمثل في سرعة الإيقاع المزدوج بين الحاء والقاف (الحاقة) للدلالة على الفزع في هذا اليوم العظيم، وتُعرّج على مصارع المعاندين، الذين كذّبوا بهذا اليوم ، وكذّبوا رسل الله، مذكرة بمصيرهم. وهذا الإيقاع القرآني يقوم بوظيفتين، إحداهما جمالية، والأخرى دلالية، مما يُضفي على الأسلوب القرآني قمة في الاتساق والانسجام.

وتعدّ الفواصل من أهم مظاهر الإيقاع. وبعد الفراغ من الحاقة وأهوالها والجمع بين الترغيب والترهيب يليه انتقال سلس مصاحبٌ لِجَوٍ مشحون بالأصوات المتنوعة، يتناسب فيها اللفظ، بمخارج أصوات الحروف المكونة له، لكأنّك تصف معنى اللفظة عند نطقك بها، مثلا: كلمةُ طاغية، تتكون من حرف الطاء، المجهور والشديد، المستعلي، المُطْبَق، وفيه قلقلة، مع حرف الغين، فيه الجهر والاستعلاء، مع الرخوة، وهذه الصفات تتناسب مع وصف الطغيان الدائم، الذي هو استعلاءٌ بالقوة المستمر، وزنها على وزن اسم فاعل المؤنث، الذي يدل على المبالغة ولزوم الصفة، وَعَدَّهَا البعض صيغة مبالغة، وكل هذه القرائن تدل على المبالغة ومجاوزة الحد، كلمةُ خاوية،حرف الخاء فيه همسٌ ورخواةٌ، كأنّ أعجاز النخل تحدث ذلك

الصوت المهموس والرخوة بسبب فراغ جوفها،فتناسب حالة الخواء الداخلي، وبعض الكلمات تكرر فيها حرف الراء، الذي يدل على الجريان، أما الصاد فالصفيري، يناسب تصوير الأصوات والجلبة، التي تكون في مثل هذه الأجواء، حيث الخوف مقرونا بالوصف والتصوير، ليأتي بها في سياقات مختلفة، تمثل في النهاية، هلاك الطغاة، بمختلف ألوان العذاب، وقساوته؛ فالريح الصرصر، التي تقلع المنازل وتجتثُ أصحابها، والأخذة الرابية، تأخذ النفوس، وقد تآلفت السورة من آيات قصيرة، مرتبطة ارتباط وثيقا بكل موضوع من موضوعاتها

اختلفت التراكيب في الآيات بحيث استعملت الجمل الفعلية في تصوير الأحداث " كذبت، اهلكوا، سخرها، وجاء، فأخذتهم " وما نلاحظه في هذه الأفعال، أنها جاءت على صيغة الماضي لدلالة على تحقق ما تقدم والقطع بوقوعه. وبدأت بالحديث عن المستقبل بفعل المضارع لاستحضار الموقف، مع وجود قرائن تدل على أن هذه الأحداث، جرت في الماضي من الزمن، (فترى القوم، فهل ترى) وتخللت ذلك جملاً اسميّة، للدلالة على الثبات والاستقرار (عيشة، رسول كريم، تنزيل من رب العالمين، وإنّه لتذكرة للمتقين، لحسرة على الكافرين) ونلمس في تتبعنا لهذه الآيات أسلوب الإنشائي المتمثل في الاستفهام ﴿ الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ و﴿ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴾ للدلالة على أنّ سؤال ورد على لسان رسول الله ﷺ لقومه،مستفهماً، ومُخبِراً لهم عن هلاك هؤلاء الأقوام، والتمني الذي يدل على الحسرة والندامة ﴿ يا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ، يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴾.

ونجد تقديماً وتأخيرًا يخدم الأسلوب القرآني ، فتأخر الفاعل وتقدم المفعول في قوله تعالى: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾، لاكتساب جمالية التعبير التي تتفق مع فواصل السورة، وفي قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾، بدأ هنا بحرف العطف ، وأردفه بالجار والمجرور ، وأخَّر الفعل تحقيقا ، حفاظاً على إيقاع ا لفاصلة

القرآنية، وصفاً لمآل هذا المكذب المقيّد في هذه السلسلة العظيمة في الطول، ويدل عليه العدد سبعون الدال على الكثرة مطلقا،كما في قوله تعالى: ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ ﴾، ونظير ذلك في أساليب العرب كثيرة. وهنا تقديم السلسلة على الفعل فاسلكوه ، كما تقدمت الجحيم على صلوه ، لأنه لا يسلك إلاّ في هذه السلسلة ولا يدخل إلاّ لهذا الجحيم ، كما تدل على انتفاء الإرادة عن المكذب، وفقدان التحكم في مصيره، فهو مفعول به،مأخوذٌ ومغلولٌ ومَصْلِيٌّ ومَسْلُوكٌ في السلاسل.

ثم تعرض السورة مشاهد يوم القيامة بداية من النفخ في الصور ، وما يترتب على هذا النفخ، ليقرع سمع المخاطب ، حتى لا يشرد ذهنه ، فتهزّ مشاعره بشدّة هذا النفخ العظيم ، فيبقى مشدوها، لتتبع ما يعقب هذا النفخ، من حمل الأرض التي كان يمشي عليها والجبال التي تعدّ رواسي للأرض، ومدى قوة الجبال، أتى ليبقي المخاطَب يقظ، يتتبع هذا التسلسل الناتج عن هذا النفخ، وأتى بالفعل الذي لم يسمى فاعله (نُفخ، حُمل) للتركيز على إبراز قوة الإلهية في تنفيذ هذا الحمل فتحمل الأرض ، والجبال على عظمتهما ، وتدك كما يدك الشيء فيصبح كأنه لم يكن. وجِيء بالفعل الماضي "وقعت" ليدل على حدث سيقع في المستقبل ، وهذا على ما ألفته العرب من أساليب في كلامها ، عَدَلَ عن اسم " القيامة" إلى التعبير بمرادف آخر للقيامة الذي هو " الواقعة" محافظاً على جرس الموسيقي، وذلك خدمة لجمالية التعبير، ثم يواصل في عرض المشاهد مشهداً بعد مشهد، ليبقى ذهن المخاطب مشدوداً إلى ه ذه الوقائع والأحداث التي تقع بعد النفخ، فجاء بانشقاق السماء التي قال عنها ربّنا في آيات أخرى ﴿ ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا ﴾. فهي تشقق وتتنزل فيها الملائكة، الحاملة لعرش ربّها، عددها "ثمانية"، في هذا اليوم، تُبلى الخفايا، والسرائر التي كانت مخفيّة في الصدور.

ينتقل بنا الأسلوب من وصف حالتي المؤمن والكافر ، انتقالا مُشوِقاً، ليعرض لنا واقعَ المكذبين برسول الله ﷺ ويأتي بأسلوب القسم كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴾. و يأت حرف (اللاّم) النافية التي توحي أنّه المقسم عليه حق و ثابت و يتضح ذلك جلياً من خلال صياغة الآيات ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾. تأكيد لنبوة محمد ﷺ وصدق القرآن المجيد المنزّل من عند الله رب العالمين. بهذه الجمالية التعبيرية نلمس اتساقا ، وانسجاما، بين آيات هذه السورة ، وكأنها لحمة واحدة متماسكة.

2 دقة التصوير:

يعدّ التصوير الفنيّ وجه من وجوه الإعجاز البياني، وهو عبارة عن نتاج كل من الألفاظ والتراكيب، والخيال والحقيقة، والإيقاع، لتجسيد المعنى ورسم صورة ذهنية، وتشخيص الحدث، ولفت انتباه المتلقي، وكأنّ به يعيش المشاهد.

سورة الحاقة غير بعيدة عنّا في دقة تصوير المشاهد والانتقال السهل، من مشهد إلى مشهد، فمنذ افتتاحها فهي تقرع الأذن وتهزّ الوجدان، لأنها تُطالعنا بأهوالها وتوحي لنا بأنّ هذا الأمر واقع لا محالة وأنه أمر جدّي لا هزل فيه وافتتحت السورة باسم من أسماء يوم القيامة (الحاقة) لتُلقي إلى السامع مدى جسامة هذا الأمر، وكل من كذّب بهذا اليوم سيكون مصيره مصير المكذبين المعاندين وهلاكهم أمة بعد أمة ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾ فكل من عاند وتجبّر وتكبّر، أُخذ أخذة صارمة

تتناسب مع الجدّ والصرامة في هذا الأمر العظيم. فهذه مصارع الأمم، من عاد وثمود وفرعون وقرى لوط تبدوا شاخصة للعيان لهولها بذلك الحس الذي يهز النفوس هزًّا ومشهد الطوفان وحمل ذرية نوح في السفينة وهلاك الأمم المكذبة معروض في آيتين سريعتين ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴾. ويتمثل مشهد الريح العاتية المدمرة لمكوثها طيلة أسبوع كامل ، ويحضر أمامك مشهد القوم الصرعى مبعثرين ، كما يلقى جريد النخل الخاوي ، وهو مشهد حي يتمثل أمام المتلقي ، وكأنّه يراه رأي عينٍ ، ويستحضره في مخيلته. ثم تواصل السورة في عرض المشاهد الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة بهذا المشهد المروّع وانشقاق السماء ، وهي واهية أي يرى السماء بعدما كانت مزينة بالنجوم تذوب ذوبانا فكيف بها وقد أصبحت واهية و تصور لنا الآية مشهد الناجي وقد غمرته فرحة ما بعدها فرحة وهو يأخذ كتابه بيمينه ، وهو ينادي على رؤوس الخلائق هلمّوا إليّ ، اقرأوا كتابيّ ، وعبّر عنها بهاء السكت التي تدلّ على الفرحة ﴿ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴾. وعرض الآيات لمشهد النعيم الذي ينعم فيه هذا الناجي ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾.

هذا لون من ألوان النعيم والتكريم يتقلب فيها وكأنه يلتفت إلى أهله مخاطبًا إيّاهم كلوا واشربوا هنيئًا بما أسلفتهم في الأيام الخالية وصور لنا المشاهد بأسماء التي تدل على وصف هذا النعيم (عيشة، راضية، عالية، جنة، قطوفها، دانية، الأيام، الخالية). وعرض مشهد آخر المتمثل في الهالك الذي أخذ كتابه بشماله لم تسعه الأرض بما رحبت، وتصور لنا منظرًا كئيبا حزيناً يئن لهذا اليوم ﴿ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾. وعرض مشهد لأخذه بالقوة والوكز من الخلف وهو يُجّرُ

من قبل زبانية النار في سلسلة ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾. وتصور لنا الآيات طعامه الذي يناله في هذا الجحيم ﴿ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴾ فكل سامع أو قارئ لهاته الآية يحدث في نفس هلع وفزع من هول ما تَبُثه هذه الآيات من مشاهد مُروعة ويطول السياق في عرض هذه الصورة ليخيّل إلى السامع أنّه عذاب لا منتهٍ. وكل هذه الفجع والحسرة والندامة ، لا ينفع هذا المكذّب، لا مالٌ ينفعه، ولا سلطان ، وأتى برنّة حزينة متمثلة في هاء السكت ، لتعبر عن الحسرة، ثم تواصل الآيات في عرض هذه الحسرة ، وهو ينادى عليه من قبل الله عز وجل في كيفية الأخذ ، والتَصْلية في الجحيم ، وكأنّ بنا نرى مشهد النار ، وهي تزفر وتشهق من شدة هولها، وتنقلنا الآية إلى مصير من كذّب وعرض أسباب دخوله النار ﴿ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾ فلا رحمة في قلبه على المسكين ، ولا خوف من العزيز الرحيم، لما فرغ قلبه من الخوف والرحمة، كان جزاءهمن جنس عملهه،أكله من الحميم، وطعامهمن غسلين أي من قيح أهل جهنم، وصديدِها، ويطول هذا المشهد الذي جاء في صورةٍ معنّفةٍ، للتأثير في السامع والمتلقي ، وعرض هذه المشاهد المتوالية (الدنيا والآخرة) ومشاهد التدمير ومشاهد القوم صرعى، ومشاهد الماء الطاغي، ومشاهد البشرية غرقى، ومشاهد الفرحة، والحسرة في ظل كلّ هذه المشاهد المعنّفة والمروّعة، يأتي أمر الله الحاسم القاطع الجازم بحقيقة ما جاء به رسول الله ﷺ والذي تلقته قريش بالتكذيب والسخرية ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فكلّ الذي مرّ لا يحتاج إلى قسم وهو واضح كل هذا الوضوح وأنّه ليس بقول شاعر ولا كاهن بل هو قول من رسول كريم، لأنّ الشعر سجع وإيقاع وفي الكهانة اتصال بالجن بل هناك بَونٌ شاسع بين الثرى والثريا، فالقرآن يصدر من نفس عليّة في عليائها وهو مصدر إلهي وهذا التصوير يوحي إلينا أنّه ليس من عمل الإنسان فهذا القرآن

لايستطيعه شاعر ولا كاهن فهل رأيت شاعرًا أنتج لنا منهجًا أو كاهنا فزعم قريش بأنه شعر وكهانة وأساطير أولين كله افتراء باطل، وأنّهم كانوا يعلمون بأنّ ما يقوله رسول الله ﷺ هو من عند الله و لكنه العمى الذي أصابهم و في نهاية يجيء التهديد والوعد والوعيد لكل من تسوّل له نفسه الافتراء على الله في العقيدة وفي صدق نبوءة محمّد ﷺ في قوله : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾، أي أن محمّد ﷺ صادق فيما جاء به و بلغّكم إيّاه. وهذه الآيات تصور لنا مشهدا مروعًا وهي لأخذ باليمين وقطع الوتين وهي عبارة عن حركة تدركها النفس فيحدث في داخلها هلع وفزع بما توحي به الآيات إلى تخيّل هذا المنظر فهذا الأمر جدّي لا هزل فيه بل هو رسول مرسل من قبل الله جاءت هذه الآيات ما يناسب مقام رسول الله ﷺ و تدل دلالة واضحة بأنه نبيّ مرسل.

وتقرّر السورة في فواصل آياتها الأخيرة بأنّ هذا القرآن دستور ربّاني وتذكرة للمتقين في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴾ هو سلوى ورفعة للمؤمنين، ودليل يسبب الندامة، والتعاسة للمكذبين به، لما فيه من حق ويقين، يقول الحق تعالى في آية أُخرى: ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ فالقرآن نزل بالحق، فهو حق اليقين، من عند الحق سبحانه وتعالى فبعد كل هذه المشاهد يدعو الرسول ﷺ ومن وراءه كل متبع له، بأن يسبح الله العظيم.

<u>قوة التأثير :</u>

للقرآن الكريم أثر في تزكية النفوس وتربيتها، واستقامتها، على منهج صحيح، ونبذ الشرك ومثالب، وهذا ما دأبت عليه السور المكية التي تعالج القضايا العقيدة، وسرد قصص الأمم السابقة وهلاكهم، هذا ما نلحظه جليا في سورة الحاقة في تناسق والانسجام آياتها، وتآلف ألفاظها، لتترك في نفسية المخاطب أثرا يهز النفوس .

والمتأمل في هذا التأثير الذي حوته سورة الحاقة " يجد أنه جمع بين الجزالة والسلاسة والقوة والعذوبة كيف لا؟ وهو الحق المبين ، فنجد في بداية السورة لفتاً لانتباه المخاطَب، لطرق سمعه بنبرة قوية مؤثرة، فتجري الآيات في وجدانه وعقله، متنقلة به، من مشهد لمشهد آخر ، دون يحس بهذا السفر بين المشاهد، فآيات السورة تُذكرُهُبآخرة، فتُوحِي له إيحاءا قويا مؤثرا بمصير المكذبين برسل، ورأينا كيف تحدثت عن هلاكهم من أمثال عاد وثمود وفرعون وقُر ى لوط، وذِكرِ امتنان الله عز وجل على نوح و ذريته لنجاة من الطوفان، وإغراق المكذبين .

هذا كله تذكرة لا تعييها إلى الأذن الواعية ، المتأثرة بهذه الأحداث الجسام، والنتائج العظام، مثل النفخ في الصور، وما يعقبه من حمل للأرض و للجبال، ووقوع الواقعة، وانشقاق السماء وحمل للعرش، وبداية العرض للحساب، كل هذا يترك أثرا في نفسية المخاطَب.

وفي أسلوب المقابلة بين فرحة المؤمن ، وحسرة الكافر قوة تأثيرية، تظهر في جذب انتباه المخاطَب فتترك في ذهنه أثراً بليغاً، ثم يتغير مضمون السورة بعد هذا العرض ، بانتقال إلى موضوع صدق وأمانة الرسول محمد ﷺ في تأدية الرسالة المكلف بتبليغها، مؤكدا ذلك بأسلوب القسم، الذي يهزُّ شغاف القلوب ، نافيا عنه الشعر، والكهانة، و موضحاً المصدر إلهي للقرآن الكريم.

<u>ملخص : خصائص العامة لأسلوب القرآني:</u>

خلُصنا في دراسة الإجرائية إلى النتائج التالية :

تتداخل وفق عدة مستويات منها :صوتي الإيقاعي و الصرفي التركيبي، حيث صيغت الألفاظ على أوان ذات جمالية لفظية، وجرس مؤثر في الأذان، مما يحرك النفوس ويهيئ الأذهان لاستقبال الفكرة المضمنة داخل الآية .

كما يوجد هذا الأسلوب على مستوى الكلمة القرآنية في الآية، والسورة ككل. وطرزت الآيات بفواصل وألفاظ من طباق ومقابلة، والتوكيدات اللفظية والمعنوية ، التي تستفز عقل المخاطب فتحثه على استذكار حال الأمم السابقة، واعتبار نفسه مخاطبا مباشرا لتلك الأوامر والزواجر، وإحساسه إحساسا حقيقيا ، في خضم الأحداث التي سيعيشها فيفرح عندما يتلوا قوله تعالى: ﴿ هاؤم اقرءوا كتابيه ﴾. ويتحسّر عندما يتلوا قوله تعالى: ﴿ خذوه فغلوه ﴾. إن هذه الأساليب المبثوثة في السورة تميزت بجمالية راقية من خلال وُرُودِ التعبير المصور لمشاهدة واقعية، وأخرى متخيلة ليست بعيدة عن حس وإدراك المخاطَب، وهذا ما يرسم في ذهنه صورة كاملة الجوانب، بألوان تمثل واقعا محسوساً، تسلسل أحداثه عبر تراتبية زمنية، تنتقل بنا من الحاضر إلى الماضي ومن الماضي إلى المستقبل ، لتؤدي نوعا من التصوير الذي يتلوه التط هير النفسي دون عناء معايشة الأحداث في الواقع .

المؤمن بربه موقن باليوم الحساب ، يُكافئ بعيشة الراضية في الجنة، وهو مصير كلُّ مؤمن، فالمخاطَب يكفيه الإيمان ، ليصل إلى تلك العيشة الراضية. فيَسْتَنْكِف عن الكفر والعناد الموصل للعذاب والنار، فبهذا المعنى يتم التطهير الذي يعقب التصوير الذي بدوره جاء نتيجة جمالية التعبير و دقة التصوير.

هذا التطهير ناتج بالضرورة عن قوة التأثير التصويري والتعبيري الذي اشتمل أقصى المعايير الفنية، التي تسمو عن مثيلتها الموجودة في نصوص أخرى ، وهذه القوة من التأثير، تستشفها من تلك الألفاظ ، العبارات ، العلاقات ، الصياغات، و الروابط من: حذفٍ، تكرارٍ، تصريحٍ، تلميحٍ ومدحٍ وذمٍ ، وغيرها؛ لتتآلف و تُشكلَ نظماً مُ نَّسقاً متكاملَ العناصرِ، وأسلوبا مُمَنهجا، عالياً في سياقه وأغراضه، يخدم موضوع القرآن ككل ، ومُتسوقاً مع موضوع السورة ، في صورة جزئية مقتطفة في المشهد الكلي، وهذا دَأَبُ الأسلوب القرآني في تصويره للوقائع ،

وتوجيهه للناس باتجاه الإيمان و الابتعاد عن الكفر والشرك .فنجد صوراً الأخرى جزئية تخدم الصورة الماثلة في سورة الحاقة ، فكأنه أسلوب تصويري يهتم بالكل ، ولا يهمل الأجزاء المكونة له، التي يتم تركيبها تركيبا موضوعيًا، لتكوّن الصورة الكليّة، عن طريق الانتقال بين مكوناته ، ومن زوايا مشاهدةٍ متعددةٍ، وفي ومضاتِ متغيرةٍ، يمكن للقارئ صاحب الذائقة الفنيّة، إعادة بث الحياة في المَشَاهِد، والمواقف، والأحداث، في مخيلته، من جديد، انطلاقاً من النّص الإلهي العجيب، عند كل قراءةٍ متدبرةٍ مستبصرة.

الخلاصة:

هذه نظرات عابرة عن أسلوب القرآن الكريم وتعبيره في النثر الفني. يعجز الإنسان أن يحيط بما احتوى عليه القرآن الكريم وأسلوبه وتعبيره من أسرار البيان ودقائق الفرقان وروائع التصوير وجمال التعبير. قد استخدم القرآن الكريم العديد من الأساليب بغية التأثير في السامعين للوصول إلى أهدافه وتحقيق غاياته، من ذلك أسلوب التكرار، وأسلوب التقديم والتأخير، والذكر والحذف والإستفهام. لم ي رد القرآن الكريم في أسلوبه طريقة واحدة، وإنما يختلف باختلاف الظروف ويتباين مقتضيات الأحوال ويستخدم لكل حالة ما يناسبها من الإيجاز والإطناب، الذكر والحذف، التقديم والتأخير، الهدوء أو الانفعال والحرارة. وكل ذلك في بناء محكم وسبك جيد تناسق دقيق وانسجام لطيف وإنشاء بديع بيان رفيع. يجري أسلوبه على نمط فريد من بلاغة المتدفقة والفصاحة الباهرة و رونق الديباجة وإشراق البيان وقوة ال حجة وجماليةِ التعبير و دقة التصوير وشدة التأثير. وله أسلوب يتدفق بالبلاغة وحرارة الإيمان والعاطفة الجياشة والفكر الرائع والخيال الصادق والنظم الرائع الذي يتملك على القارئ والسامع لُبه ووجدانه، وعقله وبيانه. وكذلك يتصف دقة التصوير بحُسن التأليف وفي إحكام الصنعة وجودة السبك وكمال البيان ومتانة النسج وروع ته، الغاية منها التأثير، وهذا ما يظهر في تغيير سلوك المؤمن، والكافر على السوء، قال تعالى: وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا [1]. هذا التغيير في هنوعٌ من التطهير الوجداني، ويذهب بنا من ثلاثية؛ جمالية التعبير مع دقة التصوير والتأثير إلى التصوير الفني.

.

[1] سورة الإسراء: (82)

خاتمة

خاتمة

بعد الدراسة التي قمنا بها حول الخصائص العامة لأسلوب القرآني ارتأينا أن نؤول إلى النتائج الآتية :

* إنّ القرآن الكريم ظاهرة اعجازية إلهية.

* إنّ لسان القرآن الكريم بأنواعه و أقسامه لسان عربي مبين بما يحمله من معنى.

* إنّ العربية لغة دعوية إسلامية.

* إنّ الأسلوب طرأت عليه تطورات عبر مراحل من الغرب وصولاً إلى العرب.

* إنّ أساليب العرب جاءت متنوعة تأثرت بأساليب القرآن الكريم.

* إنّ أسلوب القرآن الكريم يمتاز بخصائص لا توجد في غيره من أساليب العرب.

* إنّ أهمية دراسة الأساليب القرآنية تكمن في أنّه أداة رئيسة في فهم القرآن الكريم و العمل بتعاليمه.

* إنّ أسلوب القرآن الكريم يمتاز بالوضوح و البساطة و التأثير العميق في المتلقي.

* إنّ أسلوب القرآن الكريم يعين النفاذ على الولوج في سبر المعنى.

* إنّ أسلوب القرآن الكريم يعزّز الصلة بين العبد و ربّه.

* إنّ أسلوب القرآن الكريم يعين على القراءة السليمة للغة العربية.

* إنّ أسلوب القرآن الكريم يُسعف على حفظ القرآن الكريم لسلاسته.

* إنّ أسلوب القرآن الكريم جاء يوافق بين الاتساق و الانسجام.

* إنّ أسلوب القرآن الكريم عذب يعين على التردد لقراءة القرآن الكريم.

* إنّ أسلوب القرآن الكريم يفسح شهية القارئ لما له من أثر الوجداني بطابعه.

* إنّ أسلوب القرآن الكريم يغير النفس من دواخلها.

* إنّ أسلوب القرآن الكريم يؤثر في الذهنية العربية و النفسية على حدّ السواء.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع. ورواية حفص عن عاصم.

1-أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، دار المعرف، القاهرة، مصر، تح أحمد صقر، د س.

2-أبو بكر بن العربي، قانون التأويل، ج1، تح: محمد السليماني، مؤسسة علوم القرآن بيروت، لبنان، ط: 1، 1986.

3-أبو الفضل الميداني،مجمع الأمثال، ج2، دار المعرفة، بيروت ، لبنان، دس.

4-أميرة حلمي مطر، الفلسفة اليونانية تاريخها و مشكلاتها، دار قباء، القاهرة، مصر،1998.

5-ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، مكتبة القدسي، القاهرة،مصر،1931م.

6-ابن جني، خصائص اللغة العربية، ج 1، المطبعة العصرية القاهرة، مصر، 1935.

7-ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 7، تح مصطفى السيد محمد وآخرون، مؤسسة قرطبة، الجيزة، مصر، ط1، 2000.

8-ابن منظور – لسان العرب – ، ج: 07، دار صادر. بيروت، لبنان، ط1، 2000.

9- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن الكريم، دار التراث، القاهرة، مصر، ط2، 1973.

10-ابن خلدون، مقدمة، دار القلم، بيروت، لبنان، ط1، 1984م.

11-جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج 4، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974م.

12-دين العربي، قضية التصويب اللغوي بين القدامى والمعاصرين، ، عالم الكتب الحديثة، 2015.

13-وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج، دار الفكر، دمشق، سوريا، البرامكة، ط10، 2009م.

14- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي وشركائه، ط1، 1957.

15-طاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، دار التونسية للنشر، تونس، 1984.

16-طاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، الدار التونسية للنشر، ط2،د س.

17-مجدي الهلالي، تحقيق الوصال بين القلب والقرآن، مؤسسة اقرأ، القاهرة، مصر، ط:1، 2008.

18-محمد بكر إسماعيل، دراسات في علوم القرآن، دار المنار، ط2، 1999.
19- محمد بن صالح العثيمين، الأصول من علم الأصول، دار ابن الجوزي، ط4، 2009.
20-محمّد سَعيد رَمضان البوطي، من روائع القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان،1999
21-محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، عيسى البابي الحلبي و شركاه، ط3، دس.
22-محمد علي طه، فتح الكبير المتعال أعراب المعلقات العشر الطوال، مكتبة السوادي جدة، السعودية، ط2، 1989.
23-محمد على الصابوني، التبيان في علوم القرآن، مكتبة بشرى، باكستان، ط2، 2011.
24- محمد فاروق النبهان، المدخل إلى علوم القرآن الكريم، دار عالم القرآن، حلب، ط1، 2005.
25-محمد صالح الشنطي، فن التحرير العربي ضوابطه وأنماطه، دار الاندلس السعودية، ط 5، 2001.
26-محمد رشيد القلموني، الوحي المحمدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2005.
27-معمر بن المثنى، شرح نقائض جرير والفرزدق، ج1، المجمع الثقافي، ابو ظبي، الامارات، ط 2، 1998.
28-مصطفى ديب البغا، الواضح في علوم القرآن، دار الكلم الطيب، دمشق، ط2، 1998.
29- لويس كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية، تر:حسن حمزة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2008.
30- سلوى ناظم، الترجمة السبعينية للعهد القديم بين الواقع والأسطورة، دس.
31-سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط17، 2004.
32-عبد الملك مرتاض، نظرية اللغة العربية، دار البصائر، الجزائر، دس.
33-عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز، ط5 ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ط1992/2
34-عبد القادر شيبة الحمد، الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، مكتبة فهد الوطنية، الرياض، السعودية، ط6، 1433هـ.
35-عبد الرزاق أحمد قنديل، الأثر الإسلامي في الفكر الديني اليهودي، دار التراث ،1984.
36-عدنان محمد زرزور، مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، دار القلم: دمشق، ط:2، سنة 1998.
37-على جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، جامعة بغداد، العراق، ط2، 1993.
38-فهد الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، ط12، 2003.

39–فيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1995، ص ص 1197–1198.
40–صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، ط24، 2000.
41-شوقي ضيف، كتاب الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ج1، دار المعارف، مصر، ط12، د س.

المواقع الالكترونية:

https://almaany.com/ المعجم الإلكتروني المعاني. المدخل: خصيصة. الاطلاع:2024/05/25 22:34.

https://ar.wikipedia.org/wiki/ اللغة السنسكرتية. الاطلاع:2024/05/26 01:52.

https://ar.wikipedia.org/wiki التطهير لأرسطو. الاطلاع:2024/05/26 02:24.